د. عبد الكريم برشيد

الحكواتي الأخير

نص مسرحي

احتفال مسرحي في نفس واحد

تقديم: الدكتور عبد الرحمن بن زيدان



د. عبد الكريم برشيد



نص مسرحي



احتفال مسرحي في نفس واحد

تقديم : الدكتور عبد الرحمن بن زيدان



24، زنقة القاضي الزموري الأحباس - الدار البيضاء
24, Rue El Kadi Zemmouri - Habous - Casablanca
الهاتف: 022 44 91 08/48 :Tél. - الفاكس: 022 44 46 43 :Fax
Email:edisoft@menara.ma

إسم الكتاب : الحكواتي الأخير
المؤلف : عبد الكريم برشيد
الناشر : مؤسسة «إديسوفت»
لوحة الغلاف : الفنان عبد الحفيظ مديوني
التوزيع : المكتبة المحمدية
التنفيذ الطباعي : مطبعة النجاح الجديدة
الطبعة الأولى : 2004-2005
رقم الإيداع القانوني : 2004/2197
الترقيم الدولي : 9954-406-67-0

✧ إهـــداء ✧

إلى كل الحكواتيين المجانين بعشق الحقيقة

إلى إخوتي أحفاد شهرزاد

ضحايا سيف السياف، وسوط الجلاد

إلى المتكلمين في زمن منع الكلام

وإلى المفكرين في زمن منع التفكير

وإلى المختلفين والمخالفين في هذا الزمن الصعب

زمن منع الاختلاف الحكيم

الحكواتي الأخير

دلالات الاحتفال في عالم اللعب بالأقنعة

الدكتور عبد الرحمن بن زيدان

المرجعية التراثية لمسرح عبد الكريم برشيد

تحتفل الكتابة الاحتفالية عند عبد الكريم برشيد بتنوع المواضيع والحالات والمعاناة التي تحرك لديه لذة التفكير والتأمل والوسن للتفكير بصيغة الجمع أثناء مقاربة عمق هذه الاحتفالية، وأثناء تفعيل مهاراته في فعالية الرؤية واللغة وزمن الكتابة فيها، وأثناء إعطاء هذا التنوع خاصيته الدالة على إتقان بناء النص المسرحي بمهارته التي راكمها من سنة 1970 إلى الآن.

التفكير بالجماعة، وبالعالم وبالخاص وبالعام، يعني التفكير بشروط الكتابة المسرحية وقوانينها وخصوصياتها التي انتقلت في نصوصه إلى خصوصيات أخرى صار بها يتميز في عالمي التنظير والممارسة المسرحية في الوطن العربي، لأنه أعطى لعمق التراث، ولنبضه الحي حيوات أخرى جاءت ثمرة تأويلات وقراءة أخرى من الداخل،بها حقق انزياحاته عن الأصل وعن

العمق وعن الدلالات التي كانت تكون هذا التراث سواء منه العربي أو العالمي.

وبقراءة كل مسرحيات هذا الكاتب بمفارقاتها وتيمتها وتجديدها في الكتابة المسرحية العربية، نلفي أنفسنا أمام إصرار شعوري ينتقي به رموزه التراثية قصديا لكتابة نصوصه المسرحية، لأن فيها يسكن العالم والحالات والأحداث التي يبحث عنها لمساءلتها ومساءلة دلالاتها، لأنه يقنع نفسه دائما أن في هذا التراث سيجد ما يسعفه بإعطاء الشرارة الأولى في الكلمة الأولى لبناء علامات أخرى في لغة النص الجديد. فمن التراث يكون البدء والبداية، ومنه تكون الولادة الأولى للفكرة وللحالات وللدراما، ومنه يكون ظهور أسئلة الإبداع، وأسئلة كيفية بناء الشخوص بدلالات العصر، وبدلالات الانكسار الذي هو انكسار الزمن في الأزمنة المكسرة، وهذا ما يجعل الكاتب برشيد وسيطا بين ماض ولى بمآسيه، وبين واقع يعيش خلله في رؤيته.

وبين الزمنين المتشابهين في حالات الخلل، يكون فعل الإبداع المسرحي عند برشيد توليدا للجديد، سواء أكان توليدا شعوريا قصديا، أو كان لا شعوريا أثناء فيض كلام النص بحالاته وحواراته ومونولوجاته الجارحة أثناء كتابة زمن وتاريخ النص المتخيل.

بهذا الفيض، يشغل برشيد كل أشكال التراث في مسرحه، ويوظف رموزه، وينظر لذلك في البيانات الاحتفالية، ويدافع على حيوية التراث الشعبي العفوي و فرجاته التلقائية، باعتبارها حياة في ذاكرة، وباعتبارها ـــ أيضا ـــ ذاكرة في حياة الوعي الجمعي للمجتمع الإنساني.في هذه الذاكرة

وجد برشيد عناصر هامة لكتابة مسرحه، ووجد فيها سندا قويا لتحصين وجود هذا التراث في فضاء نصوصه الاحتفالية، حفاظا عليه كخزان احتياطي به يقدم إمكانات الوعي بالعمل الفني ليعيش تجارب إنسانية بهذا التراث الذي يحضره بقوة وبشفافية وبشعرية احتفالية في كل النصوص التي كتبها. والتعامل مع التراث، وتوظيفه بشكل قوي في الكتابة الاحتفالية، يؤكد أن برشيد كان حفيل الإنتاج، غزير الكتابة والجدل والنقد، له خطاب احتفالي وهاج تكون الكتابة فيه تحتفل النظرية، وبالنظرية تتضح طرق وسبل أسلوب الكتابة، بالنظرية شاد برشيد نصوصه اعتمادا على النظرية الاحتفالية، وبنى بها الاحتفالية قبل وبعد تشييد نصوصه المسرحية التي استخص فيها التراث العالمي حتى صار التعامل مع هذا التراث تخصة وخصية لكتابته، لأنه كان يعرف كيف يداور هذا التراث ويعالجه بمنظوره الخاص حتى صار كاتبا مسرحيا واسع الذرع، مقتدرا على إبداع مغايره، لا يستذنب ما قاله الآخرون، ولا يتبعه، يستخرج الكلام من الكلام، ويستولد الخطاب من خطابات النصوص التراثية، ومن السرديات العربية ليحرره ـ بعد ذلك ـ من الدجى ومن ظلمة الأزمنة التي ولت ليدخله زمنا أو أزمنة إبداعية وهاجة.

هذا التعامل مع التراث، جعل كتابة النصوص عند عبد الكريم برشيد تنطق بمرجعيات التراث الذي تم تحويله وتوظيفه بمنظور جديد هو رؤية الكاتب لعالمه ولمجتمعه ولحالاته في ذاته، فالتصوف في مسرحية الزاوية، يصير قراءة ونقدا للمسخ والتشويه الذي لحق الفكر الديني بالخرافات والشعوذة والدجل، وعنترة العبسي البطل الجاهلي المغوار يصير إنسانا واهنا ضعيفا

يعيش في مسرحية " عنترة في المرايا المكسرة " زمن الانتكاسات والانهزامات العربية، إنه بطل مندحر لا حول له ولا قوة لمواجهة أسباب الانكسار الذي يحمله معه لرأب الصدع الموجود في كل بنيات المجتمع العربي المعاصـــر.وفي مسرحية فاوست والأميرة الصلعاء" وفي "امرؤ القيس في باريس "تعاد قراءة أسطورة فاوست لغوته ،ومسرحية "هاملت" لشكســـبير لكتابـــة التـــراث المسرحي بالحالات الإنسانية المشتركة بين المبدعين وكتاب المسرح العربي،

ويحضر أيضا "ابن الرومي بتطيره وبتشاؤمه في زمن الاحتكارات التي تريد تحويل المدينة والعلاقات المعقدة فيها إلى بيع وشراء وعرض وطلب يفـــرغ الناس من مساكنهم لإقامة المركبات السياحية ، ليرمى الناس ـــ بعـــدها ـــ ومنهم ابن الرومي خارج مساكنهم ومآويهم، كما يحضر المتنبي وقصـــة لونجا والمسيح وجحا والشطح الصوفي والصعاليك ، وتحضـــر المدينـــة الإسمنتية في " الناس والحجارة " رمزا يدل على غيـــاب المدينـــة /العمـــران بناسها وفكرها وفنونها وثقافتها ودفئها الإنساني الحي ، كما يحضر الدجال والقيامة والهدهد وأسطورة نرسيس في مسرحية الدجال والقيامة ، كمـــا نجد تكثيفا للسرد العربي من مسرحية ألف ليلة وليلة ، ونجد التراث الشعبي في رمز البوهو والمسيح وحربة ، ونجد أسطورة " أطلس " في أطلس المعاصر في مسرحية "عرس الأطلس " .

إن أشكال حضور التراث والتعامل معه برؤية إبداعية احتفالية، هو مـــا يعطي لمسرح عبد الكريم برشيد انفتاحه القوي على التراث المغربي، والعربي والعالمي، لأن به كان برشيد يقرأ عجيبه، ومنه كان يمتح غريبه، ومنه كـــان يستخرج الرموز الدالة بحالاتها على وجود شبيه لها في حالات الكاتب نفسه

في الحالات المعاصرة التي يحياها لأنها حالات تكونت في زمن مدروس مجنون، لأن كلمة الحق التي كان ينطق بها المسرح المثقف قد أخرست، وأن الحكواتي الشعبي سكت ودرمس و لم تعد له القدرة على الحكي بعد أن طحنه التغير المشوه للواقع المشوه، وبعد أن دحس التراث بما ليس من طبيعته ولا من روحه ولا من جوهره.لقد دخل نهار المسرح عند عبد الكريم برشيد إلى ليل دحمس شديد السواد، وذلك حين وجد أن الحكواتيين الحقيقيين الذين كانوا يربعون ساحة الفنون، وكانوا يقيمون فيها باطمئنان و أمان، لم يعودوا مقبولين في واقع يرفضهم، ويحول أدوارهم إلى نسيان، وينسيهم مرجعياتهم وأشكال تعبيرهم، وهذا ما أراب برشيد بعد أن رابه واقع المسرح والتراث الشفوي والفرجات الشعبية والاحتفالات التلقائية التي ما عادت كما كانت، و لم يعد لها وجود أصيل هو حقيقة وجود تاريخها وذاكرتها، وفي مسرحية " الحكواتي الأخير " راز برشيد خبرته، وجرب مقدرته وقدراته المتراكمة في التجريب المسرحي لسبر غور نفسيته المكلومة كحكواتي نزل ساحة الإبداع ليجد أن عوامل الإقصاء والتهميش لما هو ثقافي أكثر من عوامل الاستمرار في هذا الإبداع، ووجد أن الناس بعد أن كانوا يتداكمون ويتدافعون على الفن الشعبي في الساحات الشعبية، صاروا يرون أن الواقع رتأ كل الحكواتيين، وأن ساحة الاحتفال صارت في عداد الذي كان، وهو ما جعله يبدأ بتقديم صورة الهدم الذي طال الساحة كبداية عنيفة تبدأ بها المسرحية" من الخلف تأتينا أصوات الرافعات والشاحنات، ونسمع أصوات الهدم والبناء، مما يوحي بأن الساحة مهددة بالهدم، وبأن العمران يزحف على الإنسان ".

لقد زحل الفن الشعبي عن مكانه وتنحى، زحلته سياســـة لا ثقافيـــة، وأبعدته عن مهده، لأن الواقع عنت وفسد، وسمج الناس التـــراث المغـــربي وقبحوه، وهو ما دفع بعبد الكريم برشيد إلى أن يخرج هذه الحـــالات مـــن صمتها ليعبر عنها وعن الزلة وضيق النفس، ويقدم معاناته في الزمع والرعدة التي اعترته وأقلقته كشهادة شهيد الحالة، شهادة كانت لذتها في هذا الوقت المعلوم موصولة إلى التغيرات السياسية في المغرب وفي العالم،فكـــان وقـــت كتابة هذه المسرحية بنفس واحد متعدد الأنفاس والرعدات والغضب.

نفس واحد بأنفاس درامية متعددة

إذا كان عنوان المسرحية هو " الحكواتي الأخير "فهذا يعني وجـــود حكواتيين سابقين يرتبون في المسار الإبداعي المسرحي في طليعة البـــدايات التي أرخ بها برشيد بدايات الفعل السردي لديه، ودشن بها اهتمامه بأشكال الحكي في كل مسرحياته، وحفل بأصناف الحكواتيين الذين يتقنـــون لعبـــة السرد الشفوي، ويتقنون لعبة الكتابة بتقنيات الحكي بالأنفـــاس وبـــالنفس المتقطع الذي تلملمه الكتابة في نفس واحد.

وجود الحكواتي الأخير يعني وجود الحكواتي الأول، ويعني وجـــود التابعين للأول، ووجود سيرورة في الترتيب، ووجود تتـــابع بـــين نقطـــة الانطلاق ونقطة الوصول التي أرادها برشيد أن تكون وصولا بهذا الحكواتي الأخير إلى سقطته التراجيدية الغير مسؤول عنها لأن الظـــروف والظرفيـــة المتوترة هي سبب هذا السقوط.

ويسم الكاتب هذه المسرحية أنها احتفال مسرحي في نفس واحد، ويقدم شخوص الاحتفال الفاعلة في زمن الفعل الدرامي أنها ذات وظائف محددة بعلاماتها وبدلالاتها وبحيويتها المستمدة من قدرة الكاتب على تلوين اشتغالها بما يريد لها أن تكون في هذه العلامات وهذه الدلالات. هذه الشخصيات التي عددت الأنفاس في النفس الواحد كانت متمثلة في نور الدين الحكواتي و حربة وشدوان المغني وميمون الكاتب العمومي وطارق بن طارق المرشد السياحي.

ويبرز تعدد الأنفاس في نفس المسرحية في أحد عشر نفسا، كل نفس منها يشور بلغة الكاتب إلى حالات التحول التي عرفتها كل شخصية، ويومئ إلى عالمها بلغة شاعرة يقرب بها الحالة التراجيدية من الحالة المأساوية لتمظهرات سقوط فن شعبي أمام المد العنيف لمظاهر صناعة الفرجات كسلع للاستهلاك داخل المؤسسات المغلقة عوض الحفاظ عليها كتراث إنساني شفوي في الساحات العمومية المفتوحة تحصينا للقوالين والحكواتيين الشعبيين من الضياع والزوال.

وتناول هذا الموضوع في هذا النص يعني أن الكتابة الاحتفالية تريد أن تستنطق الغائب أو المغيب في هذه الحالات، وتريد التعرف على الكيفية التي ازدرهم بها الواقع هذه الفنون وابتلعها ليجعل منها ذكرى بعيدة عن زمانها ومكانها وأصالتها. وما تتبع ترجمة الأنفاس إلى كلام وإلى لغة درامية إلا بهدف تتبع الزفرات والشهيق واحتباس الأنفاس في كتابة هذا النص الاحتفالي، وهو تعدد نابع من مقاربة التغيرات التي طالت وظائف هذه الشخوص التي انتقلت مضطرة من الحالة إلى نقيضها، ومن البهجة إلى نشأة

والملل والهروب من أشكال الإجهاز على الواقع الذي كانت تتنفس فيه بتلقائية وحرية للتعبير والإفصاح عما يمكن الإفصاح عنه في المغلق والمسدود والمراقب.

وفي حكاية الساحة بعد الاستهلال، تكون صرخة اللغة احتجاجا على اغتيال المكان، وقتله بعد أن كان حيا يرزق بحيويته وبحيوية الناس فيه وحياة الفنون في قلبه وفي جنباته، وهو ما تم التعبير عنه في هذا النفس على لسان الحكواتي: (بعد أيام يا أولاد الحلال، ستصبح الساحة غابة مرعبة، من يدخلها مفقود، ومن يخرج منها مولود، غابة من الإسمنت والحديد.

يأالله. ماذا أقول لكم ؟ إنكم تسمعون ولا ترون، فكونوا شهودا على ما يحدث ويجري، إنهم يغتالون الفضاء الحي، ويغتالون اللقاء، ويغتالون الإنسان، ويغتالون الفرح، ويغتالون الاحتفال والخيال).

الكاتب هنا، بتعدد أنفاسه التي تلاحق سقوط الفضاء، يعطي للساحة معناها في الغياب وفي الحضور أو التغييب، ويقدم مأساة الغياب بالكتابة عن تاريخ المكان على لسانه وعلى لسان الشخوص التي ستكون خطاب التعدد في النفس الواحد الذي هو الحياة بأيامها ولياليها ولحظاتها البكر، ولحظاتها الكالحة.

إن السقوط هنا سبب مصحاة الكتابة الاحتفالية والاحتفال، وهو الداعي إلى الصحوة واليقظة التي اشتال فيها الكاتب الغم والهم ليعلن عن مصير أناس ومكان وعلاقات وتاريخ، لقد كرث الغم الكاتب واشتد اليأس عليه، وبعد المعاناة صار الحكواتي هو الكاتب، وصارالكاتب هو الحكواتي

الأول والأخيرالذي صومع أحزانه، وجمع حالات اليأس ليصرفها في الكتابة عن الساحة وعن زمن الفن الشعبي فيها.

(أيها السائر في دروب الأيام والليالي، انتظر، خفف الخطو، وتمهل، واسمع حديث الحكواتي. أنت مثلي. ومثل كل الناس جميعا، تعشق الماضي الذي كان، وتقول ـ بينك وبين نفسك ـ ليته يعود جديدا، ذلك الذي كان، إنك تخشى الآتي، والآتي لا يخشى أحدا، وهو دائما بلا أمان، وبلا ضمان، أليس كذلك أيها الإنسان ؟).

ومع المحتفلين المتخيلين في هذا النص، يعيش هذا الحكواتي مع جمهوره الوهمي في لعب مسرحي يفصح عن أسرار بناء الاحتفال والوهم والخيال زمن الاحتفال في هذه الساحة التي هي رمز حي تمت شخصنته ليصير علامة دالة على حياتها وموقعها وتاريخها لِأن هناك من يعرف كيف يبني الرمز والدلالة في هذه الحياة، ويعرف كيف يرحل بخياله إلى الأقاصي ليقرب الأحداث، ويغربها ليتنفس بأنفاس المتخيل (أنا الحكواتي. أحكي وأحاكي، وأهدم وأبني، وأخرج وأدخل، وأغيب وأحضر، وأهزم وأنتصر، وأرقص وأغني، وأرسم وأنحت، وأحلق في السماء، وأغوص في الماء.

أنا الحكواتي.رجل منكم، ومن هذا الزمن، ولكنني أملك أن أرحل بعيدا، وأن أعايش كل المخلوقات، وأن أساكن كل الناس و كل الأزمنة، أدعوكم لأن تركبوا معي بساط الريح).

إن مسار تعدد الأنفاس وتكونها واشتغالها باللغة، هو في حقيقته تعدد في أزمنة الرحلة في حياة كل شخصية حكواتية احتفالية، وهو سفر بين أصالة فن في طريق الزوال، وحضارة معاصرة هي في طريق التكون، وبين الزمنين.

تحضر " أنا " الحكواتي صوتا دراميا يريد أن يحيط بكل وظـائف الحكـي، ليحيط بمهام الحكواتي الذي هو الكاتب نفسه صانع الأحـلام والأوهـام والكلمات والحوارات والجمال. وبوظائفه الجديدة يريد أن يكون معاصـرا بإبداعه حين يربط الماضي بالحاضر، ويستعلم من الساحة مظاهرها الفرجوية الفانية وما قام على أنقاضها، وينقل ما في الساحة إلى عالم الخيال والمحـال عندما يحول المعطى، ويولد الدلالات المعاصرة التي يرويها بأنفاسـه لبنـاء أنفاس اللغة (أنا حكواتي معاصر، جئت من الأحياء المهمشة، أركب دراجة هوائية في الفراغ ألفي وجودي، أو ما يشبه وجـودي، وفي الخيـال أبـني عمارات كينونتي وهويتي.

في فضاء الحكاية تجدون عنواني، إنني أسافر وأرحـل، بـين حـدين متحركين، ومتقاطعين ومتداخلين، حد الماضي الذي لا يمضي، وحد هـذا الآن الطائر والمتبختر، في الحلم مسكني، وفي الجنون صراطي، وصراطي ليس مستقيما، وهو أرق من شعرة، وأحد من شفرة السيف.

أنا وحدي الذي أخرجت الناس من بيوتهم، أنا الذي شغلتهم عن مالهم وتجارتهم، أنا الذي سحرتهم بالكلمات وأغنيتـهم بالكلمـات وأطـرتهم بالكلمات).

وتعدد الأنفاس في النفس الواحد في كلام الحكواتي الأخير، هو كـلام فيه من الأصالة بقدر مافيه من المعاصرة، وفيه من الزمن الفائت بقدر ما فيه من العمر القادم، وفيه من لعبة الخيال والواقع بقدر ما فيه من الهزل والتناص وإحضار أبيات من الشعر الأندلسي والشعر الشـعبي. إن فعـل الحكـي والتشخيص والهزل، والتنظير للاحتفالية من داخل هذا النص، معناه امتـداد

النظرية الاحتفالية في تعدد الأنفاس، ومعناه تقديم مفهوم الحفل عندما يجيب الحكواتي عن الأسئلة التي يطرحها على نفسه، أو يرد عن الأسئلة الصادرة عن الشخوص الوهمية التي تريد أن تعرف أكثر عن زمن ومكان هذا الاحتفال، خصوصا الأسئلة التي تبحث بإيحائها المضمر عن العلاقة بين الحكي وفعل الحكي وزمان الحكي، وعلاقته بالإبداع الدرامي كرؤية للزمن والمكان اللذين يتم فيهما فعل التخييل والإبداع واستشراف أفق الكتابة في أفق الأجوبة التي تحدد معنى هذه العلاقة.

"تسألني عن زمن الحكي أقول الآن.

وتستفسرون عن مكانه أقول هنا.

وتسألون عن المعيدين والمحتفلين معنا، أقول: نحن الآن، هنا، كلنا، نعم، كلنا ".ويقدم هذا التنظير للحفل والاحتفال من داخل الكتابة النصية، زمن الكتابة، وزمن معاناة الكاتب الذي أصبح ضجورا هلوكا يريد أن يحرر ما أصفده الواقع المتحول، ويعتق ما قيدته كل مؤسسة تسهم في الكسالة وفي تكريس حالات البطالة بإقصاء أصالة الساحة من أصالة المدينة، ومحو فنون القول وفنون الأداء من شعرية الإنشاء والإبداع.

إن الواقع الأعفط المجنون، لا يخرس الكلام، ولا يصمت التأمل، ولا يسكت السؤال، إنه يحفز الكتابة على الظهور لتصير هي عين العقل ويصيره وبصيرتها وبصرها للتعامل مع التراث الشفوي في الدراما لملء جنبات الساحة المتخيلة في النص الاحتفالي بكلاميين وقصاصين يعرفون كيف يؤثثون كلامهم جمالا وفنا وحيوية، وهو ما أعطى ساحات الفرجة في المدن المغربية العتيقة أسماء ارتبطت بتاريخ المسرح الشعبي وبزمن الحكي والتمثيل

والحلقة والغناء والجمهور وأعطاها حضورا احتفاليا بالحكايات والقصص المستمدة من التراث ومن فنون الارتجال ومن القدرة على التكيف مع الحالات المختلفة، وهو ما عمل عبد الكريم برشيد على تقديمه من خلال حكاية الساحة التي هي في بعض جوانبها حكايته الخاصة.

حكاية ساحة أم حكاية كاتب ؟

في مسرحية " الحكواتي الأخير " يقلص عبد الكريم برشيد المسافات بين التراث الشعبي والكتابة الاحتفالية، ويرسم أفق النص بتحويل الكلام الشفوي للحكواتيين إلى نص مكتوب بهمومه الخاصة وبمرجعياته في التجريب المسرحي في الكتابة المسرحية.واللافت للنظر أن كلام الحكواتي لا ينعزل عن تجربة الكاتب وحياته ومساره الإبداعي، لأن الأفق الذي يرسمه كلامه مبني على هذا التبادل بين موقع الكاتب في خطاب النص ، وبين موقع الحكواتي في خطاب الكاتب ، الأول يريد أن يكون صاحب الصوت الأول في الاحتفال ، أما الثاني فيريد له الكاتب أن يكون صدى لصوته وهو يتحدث عن تاريخ الساحة في تاريخ الكاتب ، ويتحدث عن تاريخ الساحة شاكيا متحسرا على ضياع الزمن الجميل وضياع هفهفات الإبداع الشعبي .

يقول الحكواتي " هذه شكوى العبد الضعيف إلى السيد العظيم في المقام الأعلى، وقد كتبتها خادمكم ميمون، نيابة عن كل الضعفاء والمقهورين والمظلومين والمتشردين، لقد رميتها في الهواء، وطارت مع الطيور في السماء، سلمتها ليد الريح لتفعل بها ما تشاء...

وهذه دعوى، وهذا تظلم، وهذا استعطاف، وهذا تذكير، وهذا تنبيه، وهذا توبيخ، وهذا عتاب، وهذا التماس، وهذا طلب للعمل، وهذه استقالة

من العمل، وهذا التماس للعودة للعمل، وهذه رسالة إنسان حائر. ما العمل؟.".

"لقد عشت مع الناس أسمع نبضهم، وأكتب، أسود الأوراق البيضاء، وأتمنى أن يزول شيء من سواد هذه الأيام السوداء، وبنفس هذا القلم، وبنفس هذه الدواة والمداد، وبنفس هذه الآلة، وعلى نفس هذه الأوراق، يلتقي الناس بالناس، ويلتقي كل شيئ بأي شيئ، تلتقي الضحكات والدمعات والدعوات واللعنات والحكمة والجنون، ويلتقي الصادقون والكذابون والظالمون والمظلومون والحقيقيون والمزيفون".

إن ميزة الحكواتي ــ كالكاتب نفسه ــ لا يستسلم للضغوطات والإحباطات والمساومات، لأنه في تحديه للعالم بلغته يريد أن يتحدى أعصابه التعبانة المنهارة، ويريد تقوية إرادة الحكي والحضور للإفصاح في كلامه عن حقيقة الذات والمكان وعلاقاته بالناس والخطباء واليساريين واليمينيين ومستغلي الدين من أجل مصلحتهم الخاصة، ثم رفضه لتجار الحروب وسماسرة السلام.

إن الكاتب برشيد يختفي وراء شخصياته ليجعل كلامه هو كلام هذه الشخوص وهي تتحدث عن تجربته التي لا تفل من الواقع، و لا تهرب من حديث الناس، ولا تصم آذانها، لأنها تجربة قارئة وسامعة ومتأملة في سنوات الكتابة والقراءة والحياة مع الناس " سنوات طويلة وأنا أكتب وأقرأ، وأعيش بين الكتب والناس، وأصفق للخطباء، والأدعياء، وأهتف مع الهتافين المخدوعين، ضيعت أيامي، وضيعت مدادي ومداد رفيقي، وما هذا المداد الذي يسيل على أوراقي إلا دمي، أو شيئ من دمي ".

والضياع الرمزي للساحة هو الضياع الحقيقي للكاتب وللكتابة، والكاتب قبل الضياع، أوبعد ضياع حلم الكتابة كان برشيد يعمل على تعميق البعد الواقعي في خطاب الحكواتيين بعد أن ضاع العالم والوطن في عيونهم، و لم يبق أمامه إلا آخر الحكواتيين الذي أراد أن يحتفل بـ " انهزامه النبيل"ويتحدث عن أجل الأيام في حكاية غريبة أمام ضيوفه لأن يعد نفسه " سفير الأوطان الأخرى "و" سفير الإنسان للإنسان و سفير هذا الزمن في كل الأزمان " لأنه حكواتي أخير تعلم من التاريخ العبر، وتعلم منه كيف يكون إنسانا:"من حقي هذه الليلة الأخيرة أن أحتفل، أحتفل بانهزامي النبيل، يكفيني فخرا أن يكون الزمن عدوي، وأن تكون الأيام والليالي خصومي، إنني أدعوكم إلى حلقتي، فهل تقبلون دعوتي ؟وهل تقبلون؟ قولوا نعم، فمن حق المحكوم عليه، ساعة الرحيل، أن يكون له رجاء، وأن يسأل ما يشاء ".إن حد الألم عند الكاتب برشيد، هو حد الاستطاعة التي تدفعه إلى نقل الألم و الضياع إلى احتفال قاتم مركزه كاتب تعلم من مرجعيات كثيرة قبل ضياع الكتابة وقبل وصولها إلى الباب المسدود، لقد تعلم كيف ينال علمه وثقافته بالقول والفعل، وتعلم كيف ينقل ذلك إلى الذوات الاحتفالية المتفاعلة والمنفعلة بكل ما يحيط بها من مرجعيات. ويحدد مساره التعليمي في مونولوج طويل أخرجه من الصوت الواحد، ومن المناجاة المغلقة ليدخله في تعدد الأصوات في صوته في حوار مع الشخصيات الوهمية التي تنقذه من الوحدة ومن قيود الصوت الواحد، وعندما يحدث هذه المرجعيات فإنه يقدم صورة ذلك في العملية التعليمية التي كونت عوالمه " لقد علمه التاريخ أن يكون إنسانا، وعلمته الطبيعة أن يكون شاعرا، وعلمه الجمال أن

يكون عاشقا، وعلمته المسافات أن يكون مسافرا، وعلمته الحروف أن يكون قارئا، وعلمته الطيور أن يكون محلقا، وعلمته المشاهد أن يكون مشاهدا وشهيدا، وعلمته الأيام أن يكون معيدا، وعلمته الأعراس أن يكون عريسا".

ومن تراكم المعارف، ومعرفة الذات ومعرفة العالم، ومعرفة أسرار الكتابة الاحتفالية، أراد برشيد أن يفلسف علاقاته بالكون، ويختار شخوصه المنهارة في واقع منهار، كدليل على انهيار الرموز الشعبية التي هي أساس وجود الكاتب نفسه الذي فقد أحلامه وآماله في عصر البضاعة والسلعة في أوقات التبضع الحر. وبهذه الشخصيات بنى الرموز و ترجم هذه المعرفة دراميا إلى مأساة تتحدث عن مأساة الواقع.فكيف فعل برشيد وجود هذه الشخصيات في خطاب الحكواتي الأخير؟

لعبة الدمى والأقنعة في الاحتفال

أهم أشكال الحيل الفنية التي وظفها برشيد في كتابة هذا النص المسرحي هي توظيف الأجواء الكرنفالية الحية في الاحتفال لتخليص خطابه من كل مباشرة فاقعة، وإعطاء هذه الكرنفالية مقومات فنية أساسها إحضار الدمية في اللعب المسرحي بفرجة الأقنعة والدمى وعروس من قصب، وهي حيل أعطت ملامح جمالية وغروتيسكية حافلة بالإيحاءات والتقاطعات بين الواقع والأسطوري والخيالي والواقعي، فلعبة إخراج الدمية والقناع من صندوق الفرجة والعجب فيها تحويل لوجودها من كائن محايد جامد إلى عنصر فعال في حيوية نص مسرحي تحركه الموروثات الشعبية المغربية لجعل رمزها موجودا في مسيرة دلالية إيحائية تشكل الاحتفال في هذا الكرنفال

داخل ساحة ممسكة بخيوطه اللعبة،و تنشط فعالية الفرجة حين تعود إلى المنابع، وتنمط هذه الدمية وفق الشخصية المراد تقديمها وتقدم القناع كوجه حقيقي للتعدد في مستويات المعنى والاستعارة.وعلى لسان حربة يكون الحديث عن الأقنعة تعبيرا عن لعبة الوجوه والأقنعة في المجتمع :" حربة أو المسيح يلقي بالأقنعة للجمهور الوهمي".

" صدقوني، كل الأقنعة يا أولاد الحلال، مهما اختلفت، تبقى أقنعة عادية، عادية نعم، ولكنها ضرورية ومفيدة، خصوصا بالنسبة لمن يعيش مثلنا في كرنفال دائم، وكان الكرنفال أضواء وألوانا وأصباغا ودجلا وسحرا وتنكرا وشطحا وردحا ونفاقا وزيفا وكذبا، وكان هذا الفضاء خليطا وهجينا من الناس أو أقنعة الناس، أومما يمكن أن يشبه الناس، وكان اللقاء يجمع الأغنياء والفقراء والسعداء والتعساء والأسياد والعبيد والعلماء والجهلاء والقضاة والجناة والصاحين والسكارى ... ومنعا من يكرر بعضنا البعض، فإنني أوصيكم بارتداء الأقنعة... خذوا هذه الأقنعة الورقية ..."

وفي نفس "سوق النساء" يتخذ اللعب المسرحي بالدمى وجهه الساحر حين يخرج المهرج المرأة من الدمية، ويخرج الدمية من المرأة، ينطق حالاتها بصورها، فتصير كل دمية تحمل تصور الحكواتي والمجتمع وتحمل تصورا ذهنيا ونمط تفكير محدد يدل على وضعها المادي والروحي في كل أبعاده الزمانية والمكانية.

وتعدد أشكال الدمى في اللعب المسرحي هو في عمقه تعدد في مستويات الحديث عن مكون آخر من مكونات المجتمع، هو هذه المرأة كجسد إنساني وصل في المجتمع المتدني إلى التدني العقلي والوجداني صارت

معه المرأة دمية للعب واللهو والزينة والجنس بعد أن سلبها المالكون قواهـــا الخاصة بها، والمميزة لشخصيتها، فخضعت لهذا الاستلاب الذي أدى بها إلى المذلة والتشوه.

ويسهم القناع واللعب بالدمى في تقديم هذا الاستلاب، ويلعـــب القناع دورا مكملا للعب الدمية ودلالاتها.وفي سؤال الكاتب على لســـان حربة يكون نوع من التكامل بين دلالات القناع ومعنى الدمية." بأي قناع يلقى الناس. هل بالقناع الضاحك أم بالقناع الباكي ؟".

إن القناع والدمية والحكي نصوص لنص واحد هو كلام الكاتب وقد توزع على الحالات والشخصيات والمونولوجات.و في ثنايا هذا النص يطل موضوع المرأة ومفهوم الثقافة الشعبية، والعلاقات الوجدانية في مجتمـــع بدأ يفقد لغة الحوار والتخاطب.

وفي هذا الفقدان، يكون الظهور أبلغ من التخفي، ويكون الإفصاح أفصح من الكلام العادي، وظهور المرأة، وإخراجها من الصندوق بعـــد أن كانت دمية، معناه تقديم شكلها وحالاتها وإخراج وضـــعيتها مـــن ظلمـــة السكون والسكوت والعزلة ووضعها في كلام الحكـــواتيين. وفي "ســوق النسا" تصير هذه المرأة مضمون الفرجة. يقول المهرج:"إن النساء الحقيقيات صدقوني فوق النقد والنميمة، وفوق كل الشبهات". ومن هذا التحفظ يتم تقديم عينات من النساء بأسلوب ساحر.فهناك العروس من قصب، زوجـــة حربة، "إنها تلد الأولاد والبنات، فتصدر الـــذكور إلى الخـــارج، وتبعـــث بالبنات إلى البيوت، ليشتغلن في البيوت".ثم هناك"التايكة"وهي مـــن عامـــة الناس، اشتغلت خاطبة، وهي اليوم عاطلة أو معطلة" وهناك المرأة البيضـــاء

المرضة، وهناك "أمي الهرنونية الحيزبون، الشمطاء تعلم فنــون الشــيطنة وعلومها" وهناك" الكاورية" " المرأة العمياء، شوافة أو قارئــة الفنجــان، وهناك "باربي" التي " تبيع الوهم بالدرهم، وترقص علـــى إيقــاع الســاعة الحمقاء والبلهاء".

إن الميزة الدلالية والأدائية للدمية والقناع في هذا النص، هو تشكيل الاحتفال بالتنوع، والتمسك بخيوطه، وتنشيط شروطه حسب ما ألف أو لم يألف الجمهور شكله في اللعب المسرحي في الساحات العمومية، وهذا يعني عودة الكتابة الدرامية إلى منابعها الصافية، وإحلال الممثل الدمية محل الممثل العارض، وهذا التوظيف معناه جعل الدمية والقناع أدوات لعبوية يمرر بهــا الكاتب حساسية فكرية وثقافية وتجربة خاصة في الحياة هـــي جـــزء مـــن وساوس الساحة والحكواتيين والجمهور.هذه الأدوات التي بها يــتم تقــديم الإنسان/ الدمية بحوارات مجازية وذهنية تبث الحياة في هذه الأجساد الخرساء التي ذهب صفاؤها تحت وطأة الكدر والمسخ بعد أن مرج أمرها بـــاختلاط الواقع ذاته.

إن تعدد الحكايات بالدمى، هو تعدد الحكايـــات بالأنفـــاس دون تعميم أو تعمم، وهو ـ أيضا ــ لقاء بين الدمى والحكواتيين في أمرمريج هو هذا التحول الغامض الذي أحاط بالذات وبالعالم في رؤية الكاتب مما أدخل الكتابة في خلل الأزمنة، وجعلها تنطق التراث الشعبي بلغة التعدد الذي وسم مسار الاحتفال التراجيدي في هذا النص بالسقوط التراجيدي للكتابة.

خاتمة الحكي: مأساة في مأساة

الكتابة الدرامية في مسرحية "الحكواتي الأخير" محاطة بتراث شعبي مغربي أعطاها وظيفة جمالية صارت به تمثل ماهية الاحتفال في مدينة ملعونة تحكي حكاية غربة الناس وضياعهم في حلم كان يحلم بوطن آخر يجهرون فيه بإدانة الحروب ويدينون كل أنواع المحاكمات السياسية، ويلعنون الحروب الكبرى " التي تنشأ دائما من الأوهام الصغرى".

وفي هذه الماهية يكون خطاب النص حول الوطن خطابا حول ماهية الهوية الضائعة داخل الوطن، و هوية ممزقة خارج الوطن، ويظهر هذا الخلل في العلاقات التي اختلت موازينها في العالم، بعد أن رغت الأيديولوجيات العجاف حقيقة العالم، وسترت حقائق التاريخ. وفي نفس " أنا والناس " يحدث الحكواتي بصوت الكاتب حضوره عن علاقاته مع صديقه الاشتراكي، وصديقه الرأسمالي، ويتحدث عن الفقيه الكبير، وعن الفوضوي والشرطي والرفيق اليساري، والمرأة المزوقة ليقول:" إن قناع المهرج في هؤلاء يستخدمه المقنعون، وأن المهرج الحقيقي قد مات لما رأى ما لا يسر القلب ومات".

وإذا كان هذا الخلل ظاهرا جليا في العلاقة بين الساحة والحكواتيين والشخصيات المتخيلة، فإن هناك خللا آخر يكشف عنه هذا النص وهو العلاقة مع العالم، وكيف يرى الغرب شخصية طارق بن طارق، هذه الشخصية الإشكالية التي فضلت الذهاب إلى المنفى وبلاد الغربة، ورحلت للعيش بحرية خارج الوطن، لكن حلمها سينهار وسيتكسر أمام الواقع الغربي العصي على الفهم حين سيتحول هذا المرشد السياحي إلى تائه في جغرافية

الغربة بعد أن " هجر الساحة قبل أن تهجره" و"غادر مهنته قبل أن تغدر به"، فتحولت غربته إلى سؤال عن معنى الكلمات، ومعنى الحرية، ومرارة الاعتقال، وضياع الهوية خارج الوطن، وهو ما أبانت عنه حوارات الاستنطاق حيث تلحق بهذا المنفي تهمة الإرهاب.وفي الغرب يكتشف هذا المرشد السياحي أن الحرية في الغرب معناها"أن تعيش حرا يمكنك أن تجوع، وأن تظمأ، فأنت حر".

وعندما يرصد الحكي علامات السقوط التراجيدي لكل شخصية، تنتقل خطابات النص إلى طقس جنائزي قاتم وحزين وموحش، فيتوارى الحكي والكلام والحكواتي والمأساة، وتتردد شكوى المظلوم، ويتساءل الحكواتي الأخير بمرارة قائلا:" في ختام هذه الحلقة، ماذا أقول لكم عني؟ ما أسعدني وما أشقاني؟ أنا صاحب مأساة إخوتي، وأصدق المآسي هي التي تضحك ولا تبكي، أنا في هذه الساحة ضيف... ضيف والبيت ليس بيتي.أنا عابر سبيل. سأمضي أنا، ويبقى الطريق بعدي..".

ويواكب هذه الشكوى فعل دفن الماضي والحكي بنفحة صوفية يتحدث بها الحكواتي." تتسع بقعة الضوء قليلا، يقف، وظهره إلى الجمهور، وكأنه ذاهب إلى مكان ما " أنا التائه الهادي، أنا الساحر العادي، أنا المتمرد الراضي، أنا الواصل المبتدئ، أنا الضحية والمعتدي، أنا الزاحف الطائر، أنا الواقف العاثر، أنا الواصل المنفصل.

"تتعالى أصوات البنائين بالصلاة والسلام على النبي، وتحجب صوت الحكواتي.تضيق بقعة الضوء شيئا فشيئا، يتعالى إنشاد المنشدين، تتقاطع مع أصوات البنائين."

هاذي ساعة من ساعة الله يحضر فيها النبي رسول الله

إنه وبعد تحدث برشيد عن أزمنة الحكي و الصراع والغربة والتعاسة والشقاء والفقر والغنى والحمق والعقل والنهى والورع والسفه، وبعد أن عاش امتلاء اللحظات بعيون مفتوحة على التناقضات وعلى الذات والعالم عاد في الحكواتي الأخير ليقدم حكاية الحكواتي الآخرعبدالكريم برشيد الذي حاول بمسرحه أن يكشف الزيف والخلل والتطرف ويعلن عن سقوط الحلم والأمل، لأنه عاش في عالم مجنون يحرم الحلال ويحل الحرام في السياسة وفي الثقافة وفي الفن والعشق، وما اختيار " سفينة نوح لسير الأحداث سوى دليل على شكل الطوفان الذي حل بالعالم وأغرق كل شيء في الدنس والطغيان.

هل الصمت الأخير يعني السكوت الأبدي؟

إن الدخول زمن الصمت لم يكن نتيجة عجز أو فزع، ولا يعني الهروب إلى الخلف، إن الدخول بكلام النص إلى الدراما يعني سقوط مشروع حضاري أراد الكاتب بشجاعة أن يبوح بزمن سقوطه، وهو ما حول الحكواتي إلى بطل تراجيدي، فهو كالحلاج ضحية، وكالحسين شهيدا وضحية في كربلاء جديدة، وهو المسيح المصلوب في عالم مقلوب.

وما الجهر بكلام حقيقة هذا السقوط إلا الصوت الآخر للحكواتي لآخر الذي يرى نفسه ولا يراها الآخرون." أنتم لا ترونني، مع أنني أقف في عين الدائرة، ولا تحسون بي على أنني المحرك الذي يحرك شيء.ولو رفعتم عيونكم إلى فوق، لرأيتموني بشكل واضح"يقف على مصطبة " أنا الأعلى، ولا أحد أعلى ممن يكون مصلوبا على لوح أو على جذع نخلة.أنا الفادي:

مسيحكم العائد..أنا الشاهد الشهيد.أنا الضحية والقربان في يوم العيد.شهيد الترحال وشهيد الخيال وشهيد المحال وشهيد الجمال وشهيد السحر الحلال وشهيد الكلام الذي...ينبغي أن يقا ل".

إنها آخر كلمات الحكواتي الأخير وآخر صوت يـــتكلم، لكنـــها البدايات الأولى لميلاد حكواتي آخر لزمن آخر من أجل حكـــي آخـــر.إن الأخير هنا لا يعني النهاية والختام وموت حقيقة هذا الزمن،بل يعني الوقوف أمام المرآة لقراءةالحقيقة التي تضيع مع الصمت واغتيال الساحات والإنسان.

احتفال مسرحي في نفس واحد

شخصيات الاحتفال

1. **نـور الديـن** (الحكواتي)
2. **حـربــه** (لحلايقي)
3. **شـــدوان** (المغني)
4. **مـيـمـــون** (الكاتب العمومي)
5. **طارق بن طارق** (المرشد السياحي)

- مجموعة من الرجال والنساء
- مجموعة من الأصوات أيضا..

استهلال

(يدخل الحكواتي و هو يدفع عربة يد، و في العربة صندوق كبير تتدلى من فوق صورة شعبية فطرية تمثل سفينة نوح، وذلك بكل حيواناتها المختلفة و المتعددة يصاحب دخوله التصفيق، يرد على تحية الجمهور الوهمي انحناءات متكررة)

أنا الحكواتي، و أنتم ضيوفي الليلة أقول باسم الله. توكلت على الله، وأبدأ الكلام بالصلاة و السلام على خير الأنام ،ماذا تنتظرون ؟صلوا معي و سلموا يا سامعين، صلوا عليه، يغفر لي و لكم، خالق الدنيا و الدين، و رب الناس أجمعين.

أصوات خارجية:اللهم صل عليك أ رسول الله..من صلى على النبي يربح، ومن وسع دائرة الحلقة يربح، و من جلس من الصبيان يربح، و من أتاه حديثي لابد يربح..

(يأخذ دفا، و ينقر عليه بأطراف أنامله)

(يغني)

رضـــيت بما قســـم الله لي و فوضت أمري إلى خالقي

كما أحسن الله فيما مضى كذلك يصلـــــح فيـــما بقي

أنا الحكواتي، و الحكواتي سفير الأوطان الأخرى. سفير الإنسان للإنسان، و سفير هذا الزمن إلى كل الأزمان..

سمعتم عني أحاديث، أو قرأتم كتابات، و الآن ترونني كما أنا، عاريا إلا من كسائي.

قريبا منكم بعيدا عنكم

عاديا جدا جدا

و غريبا و مثيرا و مدهشا و مشاكسا و صعلوكا. أمير أنا بلا إمارة و حكيم بلا حكمة،

ومواطن بلا وطن و مسافر بلا زاد و رسول بلا رسالة..

دعوني أقول لكم:

لقد علمتني الحياة أن أكون حيا، و علمني التاريخ أن أكون إنسانا، و علمتني الطبيعة أن أكون شاعرا، و علمني الجمال أن أكون عاشقا، وعلمتني الحرية أن أكون متمردا، و علمتني المسافات أن أكون مسافرا، و علمتني الحروف أن أكون قارئا، وعلمتني الطيور أن أكون محلقا،و علمتني المشاهد أن أكون شاهدا و شهيدا، و علمتني الأيام أن أكون معيدا، وعلمتني الأعراس أن أكون عريسا..

إنني أمشي على الأرض (**يمشي في مكانه**) و الأرض تدور على نفسها، و تنكر الساعات الساعات، و تأكل الأيام الأيام، و تغوص الليالي في جوف الظلام، و يطول ظلي مرة و يقصر، ويغيب فجأة، ثم يحضر..و أحلق عاليا في السماء، و أقول بلسان الحكواتي هذه السماء العالية و

اللامتناهية ، و التي تغشاني و أغشاها لا أعـــرف مبتـــداها ، و لا أعـــرف منتهاها .

و أكلم الجماد و الطير، و أغوص في لجة الموج، و أرافق الحوت و الأسماك، و لا يغرقني الماء..

أنا الحكواتي، و أجمل كل الأيام حكاية، و أبلغ كل الحكايا أكثرها امتلاء بالخيال والمحال. حكاية لها بطل و أحداث، و لها حالات و تحولات و لها بدء و ختام، و بها صور بكل الألوان، و لها كلام يتبع الكـــلام. كـــلام يمكن أن يكون بكل اللغات، و أن يقرأ بكل القراءات. و أغرب كل هـــذه الأيام الغريبة حكاية، و أتعسها أيضا حكاية..

أنا.. تريدون معرفتي أكثر ؟ أنا آخر الحكواتيين .. اسمي نور الدين، و اسم أبي محيي الدين و اسم جدي شرف الدين و اســـم جـــدنا الأكـــبر معزالدين، و هنا، في هذا المكان، كان أبي يقف، و أنا بجانبه. يرفع عكـــازه إلى السماء. يلوح به في جميع الجهات و كأنه سيف و يقول:

(ينشد شعرا)

أنا ابن ذي يزن من فرع ذي يمن   ملكت من حد صنعاء إلى عدن

لقد ظل يتحدث أعواما طويلة، و النـــاس يســـمعون، وكانـــت الساعات تمضي بطيئة و النفوس هادئة و مطمئنة. حدثهم عن سيف بن ذي يزن و عن عنترة العبسي و عن الظاهر بيبرس و عن حمزة العرب و عن ذات الهمة و عن دليلة المحتالة و عن الزيبق و عن تغريبة بني هلال..

نعم. أنا آخر الحكواتيين ، و هذه الليلة هي آخر ليـــالي الحكـــي . ورثت حرفتي عن أجدادي، ورويت للناس نفس الروايات. كـــانوا أســـعد

حظا مني، فقد جاءوا الزمن في عزه، و جئته أيام انكساره. آه.. كان الله و يبقى الله، و لا يدوم إلا وجه الله..

من حقي، في هذه الليلة الأخيرة أن أحتفل.. أحتفل انهزامي النبيل. يكفيني فخرا أن يكون الزمن عدوي، و أن تكون الأيام و الليالي خصومي. إنني أدعوكم إلى حلقتي، فهل تقبلون دعوتي ؟ هل تقبلون ؟ قولوا نعـــم ، فمن حق المحكوم عليه ، ساعة الرحيل ، أن يكون له رجاء ، وأن يسأل ما يشاء ..

حكاية ساحة..

ـ 2 ـ

(من الخلف تأتينا أصوات الرافعات و الشاحنات، و نسمع أصوات الهدم والبناء، مما يوحي إن الساحة مهددة بالهدم وأن العمران يزحف على الإنسان).

هذه أصوات الغيلان و أصوات الوحوش، و بعد أيام ـ يا أولاد الحلال ـ ستصبح هذه الساحة غابة مرعبة، من يدخلها مفقود، و من يخرج منها مولود. غابة من الإسمنت و الحديد.

يا الله. ماذا أقول لكم له ؟ إنكم تسمعون ولا ترون. فكونوا شهودا على ما يحدث ويجري. إنهم يغتالون الفضاء الحي، و يغتالون اللقاء ويغتالون الإنسان، و يغتالون الفرح و يغتالون الاحتفال والخيال..

في هذه الساحة كان يسمع صوت الأذان.. كان ذلك قبل الآن، وكان يتقاطع مع صوت أجدادي الحكواتيين.. (**يغمض عينيه ليتذكر. تصاحبه الأصوات التي يتحدث عنها**) و كان يسمع صوت جرس (الكراب) و هو يرن و صوت الدلال و أصوات الشحاذين وأصوات المقرئين العميان و أصوات العربات التي تجرها البغال. من هنا كان يمر

الحمالون. إنني أكاد أراهم، و أقول لكم عن أسمائهم. هذا (باغوس) و ذاك شعيبة و الآخر بوجمعة. إنهم يحملون الأحمال الثقيلة، و هم يخترقون الزحام، و يصيحون (بالك).. من هنا كان يعبر التجار، قادمين من بلاد السند و الهند و من مالي و السودان..

هنا. كان يصدح صوت البائعين، متغنيا بحرير الهند و عاج الحبشة و عنب الشام و تمور العراق و قهوة اليمن..

هنا كان يسمع صوت العشابين و صوت البهلوانين و صوت مروضي القرود و مروضي الثعابين (**يفتح عينيه**) لقد اختفوا كلهم، و أصبح المكان غير المكان و الدنيا غير الدنيا و الناس غير الناس. يختفي كل الذي كان، و أنا بعض ذلك الذي كان، و بعد ساعة، أو ساعتين من الآن، سأختفي.. سأختفي..

أنا سلطان من ذاك الزمان، و هذا كل ما بقي لي.. تاج من شوك.. (**يضع على رأسه تاجا من شوك**) و عرش من شوك و صولجان من شوك و فراش من شوك و رداء من شوك و حذاء من شوك.و طريق مفروشة بالشوك.

(**كأنه يخاطب شخصا وهميا**) أيها السائر في دروب الأيام و الليالي إنتظر. خفف الخطو، و تمهل، و اسمع حديث الحكواتي. أنت مثلي، و مثل كل الناس جميعا، تعشق الماضي الذي كان، و تقول ـ بينك و بين نفسك ـ ليته يعود جديدا، ذلك الذي كان..إنك تخشى الآتي، و الآتي لا يخشى أحدا، و هو دائما بلا أمان و بلا ضمان. أليس كذلك أيها الإنسان ؟

أنا الحكواتي. أحكي و أحاكي، و أهدم و أبني، و أخرج و أدخل، و أغيب و أحضر، و أنهزم و أنتصر، و أرقص و أغني، و أرسم و أنحت، و أحلق في السماء، وأغوص في الماء..

أنا الحكواتي، رجل منكم و من هذا الزمان، و لكنني أملك أن أرحل بعيدا، و أن أعايش كل المخلوقات، و أن أساكن كل الناس و كل الأزمنة..

أدعوكم لأن تركبوا معي بساط الريح (**يخرج من الصندوق بساطا. يفرشه على أرضية المسرح و يجلس**) شدوا أحزمتكم، كفوا عن الكلام و التدخين. الإقلاع إخوتي يكون بعد حين (**ظلام تام ــ يسمع صوت إقلاع الطائرة، يوقد شمعة**)

أنا حكواتي معاصر. جئت من الأحياء الهامشية، أركب دراجة هوائية، في الفراغ ألقى وجودي، أو ما يشبه وجودي، و في الخيال أبني عمارات كينونتي و هويتي..

في فضاء الحكاية تجدون عنواني. إنني أسافر و أرحل، بين حدين متحركين و متقاطعين و متداخلين؛ حد الماضي الذي لا يمضي وحد هذا الآني الطائر و المتبخر..

في الحلم مسكني و في الجنون صراطي، و صراطي ليس مستقيما، و هو أرق من شعرة و أحد من شفرة السيف..

أنا وحدي الذي أخرجت الناس من بيوتهم. أنا الذي شغلتهم عن مالهم و تجارتهم. أنا الذي سحرتهم بالكلمات، و أغنيتهم بالكلمات، و أطربتهم بالكلمات..

تسألونني عن زمن الحكي أقول الآن.

و تستفسرون عن مكانه أقول هنا.

و تسألون عن المعيدين و المحتفلين معنا، أقول.. نحـــن.. نحـــن الآن هنا.كلنا. نعم كلنا..

(يأخذ الدف من جديد، و يغني)

وقفت ببـــابك يا ذا الـــغـــنى فـــقـــير و أنت بـــحالي عليم

و حاشا وكلا يخيب الذي أتـــى انكسار لباب الكريـــم

علمتني مهنتي أن أعرف الناس جميعا، و علمت الناس ألا يعرفوني، و شئ طبيعي ـ إخوتي ـــ أن يهتموا بحكايـــاتي و خيـــالاتي و ألا يهتمـــوا بالحكواتي..

نعم، أنتم لا ترونني، مع أنني أقف في عين الدائرة، و لا تحسون بي مع أنني المحرك الذي يحرك كل شئ. و لو رفعتم عيونكم إلى فوق، لرأيتموني بشكل واضح (**يقف على مصطبة**) أنا الأعلى، و لا أحد أعلى ممن يكـــون مصلوبا على لوح أو على جذع نخلة. أنا الغادي ، مسيحكم العائد .. أنـــا الشاهد الشهيد. أنا الضحية و القربان في يوم العيد ؛ شـــهيد الترحـــال و شهيد الخيال و شهيد المحال و شهيد الجمال و شهيد السحر الحلال و شهيد الكلام الذي .. ينبغي أن يقال..

أنت مثلا..

(**يكلم شخصا وهميا**) ما رأيك لو قلت لك إنني أعـــرف مـــن تكون. نعم أعرفك، تماما كما أعرف نفسي، و أعرف حرفتي، و أعـــرف شخصياتي. و أعرف أيضا، لماذا أنت هنا. طبعـــا لـــيس لســـواد عيـــوني

(**يضحك**) أنت إنسان فضولي، و شكاك، و قد قلت لنفسك الأمارة بكل سوء، تعالي نسمع ما يقول هذا الرجل، و هو بلاشك كذاب و دجال و محتال.. آه.. هل رأيتم ؟ لقد انصرف .. لا يهم..

و أنت.. ماذا أقول لك ؟ (**و هو يتأمل شخصا وهميا**) أنت ما أتى بك إلا هذا الزحام. أليس كذلك يا صاحبي ؟ أنا أجمع الناس ، و أتعب في جمعهم ، و أنت وحدك المستفيد . أيها الناس، من كانت له في جيبه محفظة نقود، فليتحسسها، و ليطمئن على سلامتها، فالأيادي الآثمة موجودة بيننا.. (**يضحك**) لقد هرب. أنا لم أخسر زبونا، و أنتم أيضا لم تخسروا أي شئ.. (**ينادي الشخص الوهمي الهارب**) يا هذا الرجل لا تهرب. عد إلى حلقتي، و اسمع كلام الحكواتي. لا تخف أن تموت جوعا، لأن الذي شق الأشداق لا يتركها بلا أرزاق..

و أنت.. (**مكلما شخصيا وهميا آخر**) ها ها.. أنت في كامل أناقتك و أبهتك. هكذا تكون (الشياكة) يا أخي و إلا فلا (شياكة) و(لاهم يحزنون). شاب وسيم، يفيض صحة و عافية، زادك الله من نعمائه. آه و آه، والشباب يا صاحبي يغري بارتكاب العشق، و العشق جنون، و الجنون فنون، و الفنون لو تدري، ملح الدنيا و ملح الكون.. رأيتك يا ولدي لا ترحم ساعتك التي في يدك، فأنت لا تنقطع عن النظر إليها. إنك على موعد، أليس كذلك ؟ و من كان على موعد مثلك فإنه لا يمكن أن يكون إلا واقفا على الجمر. كان الله في عونك و في عون كل العشاق. إبق معي، و اجلس بجانبي، و تأكد إن الوقت سيمر سريعا. لن تحس إلا و قد حلت الساعة الموعودة، و لكنه ـ مع ذلك ـ لابد أن أحذرك من شئ.

إحذر جيدا أن يسرقك حديثي، و يفوت عليك الموعد. إنتبـــه، إن الكلام غدار، و الوقت سيف بتار..

كنا في البدء خمسة..

— 3 —

عباد الله

في هذه الساحة نحن خمسة أصدقاء، بل خمسة إخوة. أنا الحكواتي و هذا.. (**يخرج حربة و هو يمسك بقفة**).

حربــة : أنا (حربه) لمسيح .. (يدخل رجل آخر و هو يمسك بآلـة عود)

الحكواتي : و أنت ، من أنت ؟

شدوان : أنا ؟ أنت شدوان المغني ..

الحكواتي : أما هذا فهو .. (**يدخل رجل آخر**)

ميمون : أنا صاحب السجل ، و صاحب القلم و الـدواة . أنـا كـاتم أسراركم، أخوكم ميمون.. ميمون، نعم، الكاتـب العمـومي في هـذه الساحة..

(**يدخل رجل في جلباب أبيض**)

طارق : وأنا .. مرافقكم و دليلكم، طارق بن طارق، المرشـد السـياحي الذي لم يجد من يأخذ بيده و يرشده..

الحكواتي: و هل فعلا كنا خمسة ؟ (**يخرج الآخرون و يبقى وحده**)

تأملوني جيدا وقولوا، كم تروني الآن ؟ ألست واحدا من الناس ؟نعم، و لكنني يمكن أن أكون كل الناس.إنني أتعدد، وأتجدد، و أملك أن أتحول. نحن في الأصل خمس قارات في أرض واحدة، وخمس أصابع في يد واحدة، وخمس صلوات في يوم واحد، وخمس حاسات في جسد واحد..

كنا، هنا، نفترق و نلتقي، و نعيش جنوننا في هدوء، و نقتسمه مع الناس. كنا نحكي و نحاكي، و نغني و نشدوا، و نرتل التراتيل ونقرأ الأشعار، و نسود الأوراق وتتلوا الأذكار..

صديقي (لمسيح) غادر ساحتنا و اختفى. غادرها قبل أن تغادره. انزوى في بيته مع وحدته، و طلق مهنة الإضحاك بالثلاث. ذهبت إليه في صومعته. وسألته: (**حربة داخل بقعة ضوء**)

- لماذا تهجرنا يا حربه، و تهجر الساحة و السوق، و تبتعد عن الناس، لماذا؟
- لماذا ؟ من قبل يا صاحبي كان الناس يضحكون معي..
- و اليوم ؟
- اليوم، أصبحوا يضحكون علي، و يضحكون عليك أنت أيضا. يضحكون علينا كلنا. الشاطر يا صاحبي هو من ينسحب في الوقت المناسب. نعم. ينسحب قبل أن يطرد. هل فهمت ؟ (**تنطفئ بقع الضوء، و يختفي حربة**)

الحكواتي: و جاء رجل من الناس و قال أنا (لمسيح) الجديد، و فعلا كـــان جديدا في كل شئ، في بدلته و في أفكاره و في طموحاته المختلفة، و سمعته يقول لضيوفه أو لزبنائه.. الذين يضحكون عليه، ولا يضحكون معه:

(يدخل رجل، في زي عصري)

الحكواتي: ماذا قلت لهم أيها المبدع المجدد ؟

حربه: قلت، أنا فنان، من هذا الزمان، وإنني أعدكم ـ كلكم ـ إنني ســوف أحدث في هذا الفن ثورة خطيرة. لن أطوف عليكم و أنا أحمل صــينية، أو أحمل طربوشي بيدي، وأسألكم متاع الله.. لا لا..

الحكواتي : (لمسيح) الجديد ، أصبح منشطا في فندق ، وهو اليوم يرفه عن السائحين ، و يضحك المكتئبين ، و يقتات من عطاء الموسرين. إنه يــريح المتعبين بكلماته و حماقاته و بشطحاته و بألعابه البهلوانية. إنه يفعل أي شئ، من أجل أن يملأ الفراغ.. فراغ نفوس و أرواح فارغة و قاحلة ومقفــرة..

(يقدم نمرة تنشيطية بالألعاب السحرية)

- أما صديقنا الآخر، شدوان المغني فمازال يغني، ليس في هذه الساحة التي أدركتها الشيخوخة و أتعبتها الأيام و الليالي، و لكن في الأندية الليلية و في الملاهي. إنه يغني للسكارى و المعربدين. هذا غناء و ذاك غنـــاء ، و شتان بين هذا الغناء و ذاك الغناء . في تلك الأيام التي خلت، كان يغني للحب الصادق، و يتغنى بالوصل، و يشكو الهجر و البعــد، ويســتلذ بدلال المحبوب، و يقول مع الناس، و يقول الناس معه:

(يظهر شدوان المغني و في زي السهرة. يغني أمـــام ميكرفـــون وهمي)

شـــــدوان : (عين الحسود فيها عود يا حلاوه)

الحكواتي : يتغنى بالهوى و الشباب ، و يقول عن المحبوب ، و يقول كـــل الناس معه :

شـــــدوان : (**يغني**)

- (أفديه إن ضيع الهوى أو ضيعه) ضيعه قليلا أو كثيرا. لا يهـــم، فهـــذا العصر عصر الضياع، و كلنا ـ والحمد لله ـ ضائعون ومضيعون..

الحكواتي: و اليوم، هو مغني آخر..

شـــــدوان: نعم، أنا مغني آخر، لأن هذا اليوم ـ و بكل بساطة ـ هـــو يوم آخر..

الحكواتي: لقد دارت الأيام، و فقد الرجل أحلامه القديمة، و أصبح واقعيا، يفكر في السوق، و يتعامل معها، بمنطق السوق، وفي هذه السوق ـ يا سادة يا كرام ـ هو لا يفكر إلا في المستهلك. وفي المســـتهلك يخاطـــب شـــهوة الاقتناء لديه، و التي هي اليوم أسمى الشهوات و أنبلها كلها .وأهم مـــا في هذا المستهلك جيبه، و أخطر كل كتاباته و خربشـــاته توقيعـــه المحتـــرم، خصوصا عندما يكون على شيك ، و يكون للشيك رصـــيد ، و يكـــون رصيدا سمينا و غليظا ، مثل رصيد إبليس من المعاصي و الذنوب . إسمعـــوه كيف أصبح يفكر. إنه يتكلم بلغة هذه الأيام و التي هي أكثر اللغات حياة، و ربما لا حياة اليوم إلا لهذه اللغة، و إن كان هناك من يقول غير هذا ..

شـــــدوان : (**و هو يقف أمام مرآة وهمية**)

(التشيك) يا عباد الله أهم شروط النجاح والفلاح. كـــن كمـــا تشتهي أنت، ولكن، لا تلبس إلاما يريد الناس. نحن نأكل لنعيش، و نلبس

لنخدع أصحابنا، ونخدع أصحابكم من الناس، و كل زي ما هو إلا قناع، و كل الأقنعة خادعة، وليس كل الخداعين من الناجحين، وما كل الناجحين سعداء، و من أدرك السعادة، أدرك المبتغى، ووصل سدرة المنتهى..

آه.. هذا العصر ـ يا أيها البناء ـ وعصر البضاعة والسلعة، و كل الأوقات فيه هي أوقات لتبضع الحر، و ما هذه المدن إلا أسواق كبيرة، مفتوحة بالليل و النهار، و الإنسان فيها واحد من ثلاثة، الأول منهم بائع محترف، و الثاني يشتري و يشتري، ولا يفعل أي شئ سوى أن يشتري. يشتري ما ينفع و ما لا ينفع؛ الأساسي و الكمالي، و الرخيص والغالي. و الثالث بينهما لا يبيع و لا يشتري، و لكنه سمسار، و أنا ـ و لا فخر ـ اخترت أن أكون ثالث الثلاثة، و أن أشتغل بالسمسرة، و بهذا يمكن أن أكون مع هذا، وأكون مع ذاك، وأن آكل من رزق هؤلاء ومن رزق أولئك. و كما ترون، لدي صورة حسنة، مقبولة في العين وفي النظر، و لدي صوتٍ يشدو، و لدي حضور مقنع وشخصية محترمة، و قد وظفت موهبتي في مجال الإعلان. إنني أغني على السلع، و الغناء عليها شئ مربح جدا جدا، و أين منه يا عباد الله الغناء التقليدي القديم ؟ الغناء على المأسوف على شبابها وزمانها للا أم هاني، ولو كتب الله ورأيتم أم هاني هاته لو لويتم الأدبار. و الغناء على أم الخير، و التي ليس فيها من الخير إلا اسمها، والغناء على للا شمس الضحى و للا راضية و للا البتول و للا ماريا و للا قوت القلوب ؟

الحكواتي: هذا هو صاحبي المغني. إنه مازال يغني، و لكن موضوع عشقه و موضوع غنائه تغير كثيرا، و عندما أسأله في هذا يقول:

شـــــــدوان: البلداء فقط هم الذين لا يتغيرون، ويمكن أن تضيف إليهم الموتى، وبحمد الله لست بليدا ولست ميتا..

الحكواتي : إنه اليوم (براح) في سوق ، وقد ضاق العالم في عينيه ، حـتى أصبح مختصرا في هذه السوق. إنه يتغنى بالمعروضات، و كـل هـواه مـع الفوطة الصحية والزيت الصحية والزبدة الصحية، و مع معجون الأسنان و مع الشامبوان ومع الألان و الأجان.. استمعوا إليه و هو يغني.. (يرتـدي بدلته اللامعة).

شـــــــدوان: (**يغني**) يا صابون الأشواق، اشتقت إليك فعلمني ألاأشتاق ..هذه الأغنية اسمها (صابونة تحت الماء) و هي من الروائح ــعفواــ مـن الروائع التي زلزلت الأرض، وأحدثت ثورة خطــيرة في الأذواق، وجننـت الشباب، ذكورا و إناثا..

الحكواتي: يا صاحبي، لماذا تركت الغناء ؟

شـــــــدوان: حتى هذا غناء..

الحكواتي: كنت مغنيا، وأنت اليوم بضاعة فقط.. بضاعة تتغنى ببضاعة..

شـــــــدوان: هكذا شاء ربك، أو شاءت الأيام، لست أدري.أنـا مـا خلقت هذا العالم يا صاحبي. هو هكذا، و أنا ـ مثل كل الناس ـ لا أملـك إلا أن أعيشه كما هو، و لو كان بإمكاني أن أصنعه من جديد، لما صـنعته أحسن مما هو الآن..

الحكواتي: ذلك الآخر الذي أعرف. صديقي شدوان، كان شاعرا..

شـــــــدوان:نعم، كان شاعرا في زمن الشعر، تماما كما كـان غـيري فارسا في زمن الفروسية، أو كان عاشقا في مواسم العشق، أما هذا الـزمن

فهو زمن البطن والهضـــم، وزمـــن العـــين والنظـــر، و زمـــن الإقتنـــاء والاستهلاك..و في الإقتنناء يتم دائما البحث عن أرخص الأشياء، وأرخص الغناء هو الأكثر نجاحا ورواجا وانتشارا.لا تسألني لماذا، و هل يعقل هذا ؟ إنه منطق السوق يا صاحبي، وأرخص الغناء موجود عندي أنا، وعند رفاقي المطربين _ الذين لا يطربون أحدا ــ و عند زميلاتي المغنيات الناجحـــات..

(يضحك و يضحك ، حتى يستلقي على ظهره)

حديث لمسيح (المهرج)..

ـ 4 ـ

الحكواتي: هذا هو صديقي شدوان الذي كان. أما عمنا (حربة) فهو هذا..

(يدخل حربه و هو يضع طربوشا أحمر على رأسه، و يحمل قفة)

حــــــــربه: (تحيط به مجوعة من الناس تشكل حلقة) كيف تروني الآن ؟ لا تقولوا شيئا. تأملوني فقط، و اسمعوني جيدا، فما أقوله اليوم أقوله لآخر مرة..

أنا (لمـيح) سلطان هذه الساحة. احترت يا أولاد الحلال. و حق الله احترت، و من كان في مثل وضعي، وكانت مهنته نفس مهنتي لابد أن يحتار. إنني لا أشتغل بوجهي، لأن وجهي ـ شرف الله قدركم ـ لا يطعـــم خبزا، و لا يستر عورة. إنه عملة فاسدة في زمن فاسد، لذلك فقد تركته في بيتي. أي نعم. أنا أيضا لدي بيت.. تركته مع لـــلا يطـــو، ملـــهمتي و أم عيالي..

الاشتغال في السوق ـ يا أولاد الحلال ـ لا يكون إلا بالأقنعة. نعم، و مع الأقنعة تكون الأزياء، و مع كل زي لابد من لغة خاصة، و كل لغـــة لها موضوعها و لها بشرها. أنا لا أحدث الناس إلا بمـــا يفهمـــون و بمـــا يريدون. آه، وما أغرب ما يريد الناس.. حقا لقد احترت، و سألت نفسي،

يا نفس اخبريني، بأي قناع ألقى هؤلاء الناس ؟ بهذا القنـــاع الضـــاحك ؟ (**يضع على وجهه قناعا ضاحكا**) أم بهذا القناع الباكي ؟ (**يضـــع علـــى وجهه قناعا آخر**) قلبي ليس باكيا و ليس ضحكا، و أنـــا الآن في حالـــة وسطى، بين بين. أما عن وضعي، وسط هؤلاء الناس، فماذا أقول لكم عنه ؟ إنه وضع بين وضعين، أسوأ من السعداء و أحسن من التعساء، وأعلم من كثير من الجهلاء، و أقل علما وفهما من سادتنا العلماء..

(**يلقي بالأقنعة للجمهور الوهمي**) صدقوني، كل الأقنعة يا أولاد الحلال، مهما اختلفت، تبقى أقنعة عادية. عادية نعم، و لكنها ضـــرورية و مفيدة، خصوصا بالنسبة لمن كان يعيش مثلنا في كرنفال دائـــم، و كـــان الكرنفال أضواء و ألوانا و أصباغا و شعوذة و دجلا و سحرا و تنكـــرا و شطحا وردحا ونفاقا و زيفا و كذبا، وكان هذا الفضاء خليطا عجيبا، من الناس أو من أقنعة الناس، أو مما يمكن أن يشبه الناس، و كان اللقاء يجمـــع الأغنياء و الفقراء و السعداء و التعساء و الأسياد و العبيـــد و العلمـــاء و الجهلاء و القضاة و الجناة والصاحين والسكارى. و.. منعا من أن يكـــرر بعضنا البعض، فإنني أوصيكم بارتداء الأقنعة.. خذوا هذه الأقنعة الورقيـــة (**يخرج من الصندوق أقنعة أخرى**).. ضعوها على وجوهكم، وتأملوهـــا. قولوا. ألستم الآن أجمل مما كنتم ؟(**يوزع على الجمهور أقنعته الورقية**) و بغير هذه الأقنعة فإنه لا يمكنكم العيش في حمى الكرنفال. هل فهمتمـــوني ؟ افهموني فقط ، ولا تعطوني أي شئ ..

(**في انكسار**) ما أنا _ يا أولاد الحلال __ إلا فنان شعبي، أحـــدث الرجال عن النساء، و أضحك النساء على الرجال، و أقلد الأغنياء للفقراء،

و أسلخ جلد الأغنياء لحساب إخوتي الفقراء. إن الذين يغيبون عن حلقتنـــا نضحك عليهم الحاضرين، و ليس هناك ذنب أكبر من ذنب الغياب، و عليه فإنني أوصيكم إن تلزموا أماكنكم، و ألا تغادروهـــا، و إلا فستصـــبحون موضوع حفلتنا، ويصل خبركم إلى.. قرطخنة، ونضحك عليكم خلق الله. هذه هي أصول اللعبة يا أولاد الحلال، وقد ورثناها عن أسلافنا، غفر الله لنا ولهم، قولوا آمين..

الجــمـــيـــع: (**بصوت واحد**) آمين..

حـــــربه: أنا (حربه) العجوز.حكيم يا أولاد الحلال. حكيم وحق الله، ولكن حكمتي غريبة و عجيبة، و قد تكون مضحكة أيضا. لا يهم، و هـــي لا تشبهها ـ في غرابتها ـ أية حكمة أخرى. و لأنني حكيم العصر و الأوان، و فريد هذا الزمان وكل الأزمان، فقد قلت. و من حق الكاتبين مـــنكم أن يدونوا بماء الذهب ما أقول.. اسمعوا وعوا، واكتبوا (**متصـــنعا الجـد**) إن السماء إذا لم تكن غائمة فإنها لا تمطر..

الرجل الأول: سبحان الله..

حـــــربة:نعم، و الخمرة إذا كانت بالمجان فإنها لا تسكر..

الرجل الثاني: عجبا.

حـــــربة:و الشجرة إذا كانت رسما فقط، على ورق مقـــوى أو غـــير مقوى، أو كانت نحتا على حجر أو على جذع شجر، فإنها لا تثمر..

الرجل الثالث: لا إله إلا الله..

حـــــربه: و الحر حر، و إن مسه الضر..

الرجل الأول: حكمة بليغة..

حــــــــربة:و الحي حي، يكون كذلك و يبقى، و إن كذبوا و زوروا، و زيفوا و قالوا، إنه مات (الزغبي) و انتهى، و أنهم غسلوه و كفنوه، وأنهـــم صلوا عليه في الجامع الأعظم، ووضعوه تحت اللحد و القبر..

الرجل الثالث: رحمنا الله جميعا..

الرجـــل الأول: .. ونحن أحياء ونحن موتى..

حـــــــربة: و الفقير فقير أيضا، يولد معدما و يموت معدما، و إن كانت له أموال قارون و كنوز علي بابا، و كان له جني عملاق يخرج من المصباح و يقول له (شبيك لبيك. كل ما تطلب يحضر بين يديك).

الجميـــع: (**بصوت واحد**) آهاه ؟

حـــــربة:و الغني غني يا أولاد الحلال، و إن قالوا عكس هذا، و ألحقوا به تهمة الفقر، واعلموا أيضا، أن الغنى أنواع وأنواع، وأن خير كل الأنواع غنى النفس وغنى الروح..

الرجـــل الأول:أتسخر منا، يا عمي حربه ؟.

حـــــربــه:و المغني ـ يا أولاد الحلال ـــ إذا كان من أبناء حينا، فإنـــه لا يمكن أن يطربنا، تسألونني لماذا، أقول لكم، الله أعلم..

الرجل الـــثـــاني: في هذه صدقت يا (حربه)

حـــــــربة: و إذا سمعتم ـ لا قدر الله ـ حفار القبور يقـــول إن الـــدنيا بخير، فلا تصدقوه، و اعلموا أنها بألف شر..

الرجل الثالث: هذه أيضا حكمة بليغة..

حـــــــــربة: مصائب الموتى عند الحفارين فوائد..

الـــــرجـــل الأول: لا إله إلا الله. كلنا لها..

حـــــــــــــربة: و إذا قال الجلاد إن الشغل مزدهر، فمـــن حقكـــم أن تخافوا، و أن تتحسسوا رؤوسكم..

الرجل الـــثــــاني: اللهم يا رب العالمين احفظنا..

حـــــــــــــربة: أنا حكيم و لكنني لست حاكما، و (الحكمة إذا لم تكن حاكمة لا يعول عليها) أنا إذا فكرت أصبت كبد الحقيقة، و كنت مصيبا، و كانت كل أفكاري مصيبة.

الرجـــــل الثاني: حقا. أنت كل أفكارك مصيبة..

حـــــــــــــربـــه: يا الله. إنه لا يمكن أن نضئ حتى نحترق..

الرجل الثالث:(كالصدى) حتى نحترق..

حربة : و لا يمكن أن نلتقي حتى نفترق ..

الجميــــــــــــــــع: (**كالصدى**) حتى نفترق..

حربة: و لا يمكن أن نلتحق بالسادة الأموات إلا بعد الحيـــاة.. الجميـــع، كالصدى.. إلا بعد الحياة..

حـــــــــــــربـــه: و لا يمكن للرماد أن يصبح رمادا إلا بعد أن يكـــون جمرا..الجميع، كالصدى).. يكون جمرا..

حـــــــــــــربـــه: صدقوني ـ يا أولاد الحلال ـ إذا قلت لكم إن الحكماء مثلي ـ و هم قلة قليلة بين عباد الله ـــ تبحث عنهم الحكمة، قبل أن يبحثوا عنها، و إن التاجر الشاطر ـ وهو غير التاجر الفاجر و المقامر ـ يدركه رزقه من غير أن يجري خلفه. هذه الدنيا حظوظ، و أنا حظي في المعاني و القوافي و.. (صافي)..

هذه الليلة يا أولاد الحلال، سأدخل بكم سوق النســاء، و لقــد اخترت الحديث عن النساء لأنهن غائبات، و من غاب عــني، استحضــرته بخيالي، و مثلته بفني، وهذه هي أصول اللعبة.. كاين شي عيالات في القاعة ؟ أنا لا أقصدكن أنتن ، و حق الله . أقصــد النســاء في هونــو لولــو و بوجمبورة..

سوق النساء..

ـ 5 ـ

حربه: آه من سوق النساء. هو سوق (يا لحباب) من غير باب ولا بواب ، ورحم الله شيخ أشياخي الذي قال :

(**يغني**)

سوق النسا سوق مطيار   يالداخلو رد بالك

يوريوك من الربح قنطار   ويخسروك فراس مالك

و أنا ـ يا أولاد الحلال ـ ليس لدي رأس مال و لا بطن مال و لا حتى ظفر مال، و عليه، فإنه لا خوف علي من الدخول إلى هذه السوق. لا خوف علي، و لا هم يحزنون علي.

آه.. هذا الكلام ـ يا سادة يا كرام ـ لا يخص كل النساء، و خيرهن استثنينا في هذا الحديث. إن النساء الحقيقيات ــ صدقوني ــ فوق النقد و النميمة و فوق كل الشبهات، و من هؤلاء النسوة المحترمات السيدة زوجتي، مولاة الدار، تلك التي لا يمكن أن تجدها ــ وفي كل أوقات الليل والنهار ـ إلا خارج الدار، و خارج الزمن أيضا، و خارج التاريخ، و خارج أكوان رب العالمين ... (**يغني**)

كيد النســا كيداين من كيدهم جيت هارب

يتحزموا بالـلفــاع و يـتخللوا بالـعقارب

ورفعا لأي التباس، كيفما كان، فإنني أقول، إن هذا كان قديما. أي نعم. عندما كانت القردة تنطق، و كان الديك الفصيح يصيح، و كان عباد الله يسافرون على متن بساط الريح. والآن، انقلبت العصور يا عباد الرحمان، وجد في الأمر أمور، و أصبح التمييز بين الرجل والمرأة شيئا صعبا وعسيرا، بل و مستحيلا يا عباد الله..

(**مشيرا إلى صورة امرأة، يزين الوشم وجهها**) هذه هي زوجتنـا للا يطو، و هي عازفة ماهرة على آلة (الغيطة) و من أجمل كل الأغاني التي قلنا فيها، هذه الأغنية. انتبهوا جيدا، واسمعوا وعوا، و لا (تفرتعوا):

(**يمسك التعريجة و يغني**)

ألالا يطــو ألالا يــطــو جيــبي الغيطة وآجي أنغيطو

عشت معها ـ كما أراد الله ـ سنوات طويلة من عمري، و لم أكن أعرف إلى أين تذهب، و لا من أين تأتي. ترتدي جلبابها صباحا. (تعكر) و (تسوك) و تضع لثامها الجديد على وجهها القديم، وتخرج ، و لا تعود إلا في آخر الليل ، و عندما أسألها في ذلك تقول (**يقلدها**) .. ماشي شغلك آلفضولي .. و عندما توفاها الله تعالى، في صــبيحة يــوم مــن الأيــام، و غسلوها، و كفنوها، و ساروا بها مسرعين في دروب المدينــة.. (**تسـمع أصوات تردد، لا إله إلا الله محمد رسول الله**).

رجل من الناس: ألا تذهب معنا يا (حربه) ؟ هذه الزوجة زوجتك . هــل نسيت ؟

- (**مصححا**) كانت.. كانت زوجتي يا صاحبي..
- و لكن، هل فكرت، ماذا يمكن أن يقول الناس عنك غدا ؟ إنه لا يعقل أن نمشي نحن مع الجنازة، وتغيب أنت..
- دعني لحالي يا صاحبي، ولا تفسد علي نشوتي وسعادتي..
- عجبا. أ أنت الآن سعيد يا (حربة) ؟
- نعم، لأنني أعرف. أخيرا أعرف، ولأول مرة أعرف. إلى أين هي ذاهبة زوجتي. أعرف يا صاحبي، و مطمئن تماما، وسعيد أيضا، وخائف أن أذهب معها.

آه.. يوم كانت تذهب للنشاط، كانت تذهب وحدها، و اليوم، و هي ذاهبة إلى القبر، فإنكم تريدون أن أذهب معها.. (**يضحكون**)

(**يغير لهجته**) إياكم أن تصدقوني، فما هذه الصورة إلا رواية. رواية خيالية طبعا، و ما أظنها يمكن أن تقع في مملكة رب العالمين. أنا زوجتي الصالحة، لا يمكن أن تخرج إلا مرتين في العمر، و قد كانت إلى داري، أما الثانية، فستكون إلى دار البقاء..

زوجتي يا أحباب الله، ليس في نيتها أن تموت الآن و لا بعد الآن، و هي امرأة محترمة جدا جدا..

وهذه امرأة أخرى (**مشيرا إلى صورة كبيرة يخرجها من الصندوق**) اسمها خيتي جميعة، وهي امرأة كاملة الأنوثة، شكلا و مضمونا.حرفتها مثل حرفة زوجتي؛ زوجة محترفة و كفى. إنها ربة بيت، و لكن البيت ليس بيتها، و ليس بيتي أيضا. إنه لصاحب الدار، وصاحب الدار من أكبر التجار.. أما هذه المخلوقة ـ زوجتي ـ فهي لا تملك إلا ظل هذا

الجدار، والجدار على وشك أن ينهار. وهي أم أولاد، فيهم الذكر و الأنثى والخنثى، وفيهم البار و العاق والشحاذ والسراق، و لكن هـؤلاء الأولاد لا يحملون اسمها..

و هذه امرأة أخرى (**مشيرا إلى عروسة من قصب يخرجها مـن الصندوق**) إنها تلد الأولاد و البنات، فتصدر الذكور إلى الخارج، و تبعـث بالبنات إلى البيوت، ليشتغلن خادمات.

آه. وهذه جارتها أم الخير.. (**مشيرا إلى عروسـة أخـرى**) و إن سألتم عن أحوالها فهي والحمد لله بألف خير. إنها تتخذ الولادة مهنة، و هي مهنة مربحة جدا. إنها تكتري أولادها للشحاذين صباحا، و تستعيدهم مساء كل يوم، و معهم تقبض مصروف كل يوم، ولله في خلقه شؤون..أما هذه المرأة الطويلة العريضة.. تأملوها من بعيد فقط، فهي امرأة مسترجلة، باطنها أنثى و ظاهرها رجل ، أو العكس ، لست أدري . ضيعت أنوثتها، و مـا ربحت من الرجولة إلا الوهم. لها في البيت زوج، أو زوجة، لست أدري، و هي تقتسم معه كل شئ، نعم، كل شئ، حـتى شـفرة الحلاقـة. إنهمـا يستعملانها بالتناوب، و هذه منتهى الديمقراطية في عصر المساواة والتناوب، أليس كذلك يا أحبابي ؟

آ.. (**و هو يكلم ما في الصندوق**) أخرجـي و لا تخـافي، و لا تخجلي، فقد انتهى عصر الخجل و الحياء.. ها ها تسألون عن هذه الأنثى ؟ (**يخرج من الصندوق دمية أخرى**) ماذا أقول لكم ؟ هي امرأة من عامـة النساء، إشتغلت خاطبة، و هي اليوم عاطلة، أو معطلة. و مـن حقهـا أن تكون عضوا في جمعية المعطلين، و أن تعتصم مع المعتصمين. لقـد كانـت

خاطبة قديما ؛ أي في سالف العصر و الأوان ، عندما كان الزواج زواجـــا ، و كان رباطا مقدسا ، وعليه الملح والسر، و كانت المرأة عورة ـ حاشاكم ـ و لكنها اليوم ـ و ماذا يمكن أن أقول لكم عن هذا اليـــوم ـــ و عنـــدما تغيرت الدنيا ، فقد غيرت المهنة .

رجل من الناس:و ماذا أصبحت يا عمنا حربة ؟

◆ ماذا أصبحت ؟ هنا قالت (آخر) يا عباد الله ارحمونـــا، ولا تســـألوا كثيرا، و ما كل شئ يمكن أن يقال.. (**تتعالى أصوات الإحتجاج**)

نعم ؟ تلحون ؟ طيب . لقد أصبحت يا أحبابي في الله سمسارة..

رجل من الناس:سمسارة .

◆ و تاجرة أيضا يا صاحبي. تاجرة في أقدم تجارة أخرجت للناس.. يكفي .. (**يضحكون**)

وهذه جارتنا (التايكة) و أن تسمع بالتايكة خير من أن تراهـــا، و هي تشتم و تسب، و تلعن لك أسلافك الكرام، ولا تفعـــل في حياهـــا إلا هذا.لـــها في فمها ـ يا أولاد الحلال ـ بقية أضراس و أسنان ، و لها أيضا ، لسان أطول من ثعبان ، و أدق من شفرة الحلاقة ..

رجل من الناس: هذه المرأة عمتك يا حربة ؟

◆ لا، بل هي حماتي.. (**يضحكون**)

أما هذه المرأة العجوز فهي أمي رحمة القابلة. أمـــي و أمكـــم و أم الناس أجمعين، إنها امرأة من العهد القديم، و هي من الحيوانـــات البشـــرية المنقرضة، أو التي في الطريق إلى الانقراض. لقد كانت شاهدة علـــى كـــل

الولادات، و على يديها جاءت ملايين من الأجساد المعذبة، و نزلت أسواق هذه الدنيا المزدحمة بالأقدام و المناكب..

رجل من الناس: و أمي رحمة، أما تزال حية ؟

- أمك رحمة ـ يا ولدي ـ يرحمها الله. لقد ماتت و هي في عمر التسعة و التسعين..

الأصـــــــوات:

- لا إله إلا الله. كان الله و يبقى الله..
- و الأخرى ـ يا أحباب الله ـ ها ها .. ماذا أقول لكم عنها ؟ هي ثرثارة محترفة و نمامة كبيرة. تجدها في الحمامات العمومية و في المقابر و في الأسواق الأسبوعية و في المواسم السنوية، تلوك الأعراض، و تنهش لحم الأحياء و الأموات و أشباه الأموات، و لا تفعل شيئا سوى ذلك، وهي ـ والحمد لله ـ مرتاحة لذلك، و ليس هذا بالشئ الهين لو تعلمون..

و هذه المرأة البيضاء ـ يا سادة يا كرام ـ مهنتها ممرضة، و هي فعلا ممرضة، و أول مرضاها زوجها الضحية، زوجها الأول، و قد مات المسكين بالذبحة الصدرية، رحمة الله عليه، و على كل الشهداء الأبرار الذين جاءوا بعده، و الذين مات فيهم من مات، واختفى منهم من اختفى، وانتحر من انتحر. تعددت أسباب المرض و الممرضة واحدة، واختلفت طرق القتل والقاتلة واحدة..امرأة من الناس: هذه امرأة حقيقية، الله يعطيها الصحة..

- يا عمي. إن كان على الصحة، فلها ما يكفي و زيادة، و المهم، هو أن يكون لها في رأسها شيء آخر..

- و الله صدقت يا حربة. إن الهم ـ بالنسبة للمرأة المحترمة ـــ هو أن يكون لها في رأسها.. شعر، و ألا تكون صلعاء.. (يضحكون)
- (**و هو يخرج دمية أخرى من الصندوق**) أما هذه الحيزبون الشمطاء ـ و أنا لا أقصدك أنت يا للا ـ فهي أم إبليس، أما اسمها فهـــي (أمـــي الهرنونية) . نعم ، أمه التي ولدته، و ربته ، وأرضعته ، و علمته فنـــون الشيطنة و علومها . لقد راكمت الساعات و الشـــهور و الأعـــوام، و كلما زادت شهرا ازدادت مكرا، و كلما زادت ليلة ازدادت حيلة، و *كلما زادت سنة، ضيعت أسنالها و أضراسها، وزادت إلى رصـــيدها في* اللعنات لعنة..(**يترل من فوق ملصق به صورة امرأة**)

رجل من الناس : ما هذا يا عمنا حربه ؟ هل أصـــبحت الســـماء تمطـــر بالألواح ؟

- هذه ليست لوحة، و لكنها امرأة يا ولدي. امرأة معلقة في الهواء، وهي واحدة من المعلقات السبع.. المعلقة الأولى معلقة في ملصق، و هي هذه الشقراء (الكاورية)، و الثانية معلقة في هذه المجلة الملونة (وهو يمســـك بمجلة) وهي مجلة للموضة و الأصباغ، أما ثالثة المعلقات فهـــي امـــرأة الساطور، و هي اليوم معلقة على حبل المشنقة. يقـــول الـــبعض إلهـــا مظلومة، ويرى البعض الآخر غير هذا، أما نحن فنقـــول الله أعلـــم، و الرابعة تجدها دائما في زي من الأزياء، و يقولون عنها عارضة أزياء، أما الخامسة فهي زعيمة و متكلمة محترفة، و هي معلقة في منبر أو في حبل ميكروفون، و السادسة طيارة، معلقة بين الســـماء و الأرض و بـــين

السحاب و التراب، و السابعة مجنونة، معلقة من شعرها في زاوية أو في ضريح من الأضرحة..

رجل من الناس: و أسعد كل السعداء، هو من لا يكون قلبه معلقا، بـــامرأة معلقة، أليس كذلك يا عمنا حربة ؟

- نسأل الله تعالى ألا يعلق قلوبنا بسحابة صـــيف.. (**يضـــحكون**) و.. (**يخرج دمية أخرى من الصندوق**) هذه المرأة العمياء، هل تعرفون من تكون ؟ إنها عرافة أو شوافة أو قارئة، و بعض الناس يسمونها (بصارة). من حقكم أن تتعجبوا، و أن تقولوا، كيف تكون (الشوافة) شوافة، و هي لا تشوف ـ و (البصارة) بصارة، و هي لا تبصر، وقارئة الفنجان و (الكارطة) أمية و لا تقرأ ؟ و أقول لكم، صدقوا ما ترون، و لا تصدقوا ما تسمعون، و أكثر الأسماء دائما، بلا معنى، أو أنها كلمات تسبح عادة ضد المعنى..

رجل من الناس: و قارئة الفنجان يا عمنا حربة، هل تشـــرب القهـــوة أم تشرب الشاي ؟

- تشرب (الماحيا) يا ابن أخي، و ماء الحياة أحسن مـــن مـــاء الممـــاة (**يضحكون**)
- (**و هو يفتش في الصندوق، و يخرج منه دمية (باربي)** أمـــا هـــذه الغادة الفاتنة، و التي زادتها الأصباغ جمالا، و زادتها الأضواء فتنة وبهـــاء فهي راقصة. نعم، هي راقصة في ملهى، وحسنا فعلت، لأنها اختـــارت أن تلهو مع الزمن اللاهي، و أن تبيع الوهم بالدرهم، وأن ترقص علـــى إيقاع الساعة الحمقاء والبلهاء..

رجل من الناس: قل يا عمنا حربة، ماذا يمكن أن تكون هذه الدنيا سوى أنها ساعة ؟

- نعم، هي ساعة مدورة، و بهذه الساعة رقاص كبير و رقاص صغير، و أسعد كل السعداء هو من يعرف كيف يرقص و متى يـــرقص و لمن يرقص.. (**يضحكون**) أما هذه المرأة المحتجبة.. (**و هو يشـــير إلى امرأة تقف في الحلقة**)

امرأة من الناس:

- تكلمني أنا يا حربة ؟
- لا، و لكنني أتكلم عنك، فهل لديك مانع ؟
- أبدا أبدا
- هذه المحتجبة المسميمة أوهمت نفسها ـ أو أوهموها ـــ إنها، وبهـــذه الخرقة وحدها، يمكن أن تكون شريفة و نبيلة، وأن تتقرب من الله تعالى. لقد نسيت أن الله خلقها عارية و سافرة، و لو شاء لخلقهـــا بحجاب أو لكساها صوفا، كما كسا النعاج و الأبقار..

حدثنا الكاتب قال.

ـ 6 ـ

(يدخل الحكواتي و هو يصفق)

هذا هو عمنا (حربة).. ولقد قالوا إن اسمه الحقيقي هـــو حربـــاء، وهو ممثل ومقلد وحكيم شعبي كما تعرفون، و في جلد أي ممثل لابـــد أن تنام الحرباء. تنام فعلا، أو توهمنا فقط إنها نائمة ؟ لســـت أدري. وحربـــاء المجنون يكون دائما، بألف زي و بألف لون، وتغيير الألوان من أقدم عادات الإنسان، وهي ضرورة من ضرورات الفن، وهي لعبة بريئة مـــن ألعـــاب الفنان..

هذا العجوز الحربائي، لبس لبوس الناس، كل الناس، و لم يلـــبس لباسه أحد. عاش حياتهم معهم، يوما بعد يوم، و لحظة بعـــد لحظـــة، و لم يعش حياته معه إلا ربة بيته للا يطو. لقد تغير شكله، آلاف المرات، ولكن فكره وروحه لم يتغيرا أبدا، ولو لمرة واحدة. لقد ظل محتفظـــا بضـــحكته الساخرة والماكرة، و بشغبه ولعبه و بعبثـــه وشـــطحه وردحـــه وبرؤيتـــه (العمشاء) لهذا العالم الأعور، ولهذه الدنيا العمياء والصماء والخرساء.. لقد حزم أمتعته، في مساء يوم من الأيام. وضعها في قفته العتيقة، و ألقى نظـــرة

وداع على الساحة والناس، وهمهم بكلمات وعبارات، لم يتبين أحد معناها، ثم عاد إلى بيته، وهو يجر ساقيه. (**يمشي حربـــه في مكانـــه وظهـــره إلى الجمهور**) ومن ذلك اليوم لم يغادر عتبة بيته.. (**يخرج**)

أما صديقنا ميمون، وجارنا في هذه الساحة، فكان أكثرنا شـــبابا وحماسا، وكان أقدرنا على ارتياد آفاق الحلم والجنون.. (ميمـــون و هـــو داخل بقعة ضوء. يجلس إلى جانب الصندوق، و قد ارتدى بدلـــة أنيقـــة) أنا..حكواتي عمومي، وعمنا (حربة) بمثل عمومي، وشدوان الـــذي كـــان مغني عمومي، و ميمون أخونا مثلنا، كاتب عمومي. إنه يكتب ويقرأ، أمـــا نحن.. نحن لا نكتب و لا نقرأ، إلا العلامات والرموز و الإشارات طبعـــا. نقرأها يا عباد الله وهي طائرة في السماء.. ومع ذلك فإنه يشبهنا في كـــل شيء، فهو حكواتي مثلي، و مقلد مثل (حربة) ومنشد مثل شدوان..

في هذا المكان كان يجلس. عفوا.. (**مصححا**) لم أنتبه إلى أنني قد استحضرته بخيالي. إنه يجلس كما ترون.. حدث الناس عنك يا ميمون..

مـــــيمـــــــون: أنا ميمون.. (**مشيرا إلى الصندوق**) و في هذا الصندوق العتيق تختبئ حبيبتي ومولاتي. هي ليست امرأة من بنات حواء. ليست أنثى، وإن كانت تجر وراءها تاء التأنيث. هل عرفتموها ؟

◆ ماذا ؟ أتقول هي حمامة ؟ (**لواحد من الجمهور**) لا ، يا سيدي لا ..

◆ نعم . قلت حية رقطاء ؟ ماذا أقول لك ؟ هي فعلا حيـــة تحيـــا ، ولكنها ليست ثعبانا ، وليست أفعى تتلوى ..

- قردة ؟ (**يضحك**) و متى رأيت يا صاحبي كاتبا يصاحب قردة ؟ يمكن أن يصاحب جنية أو شيطانية إلهام و لكن القردة لا..

(**يفتح الصندوق برفق، ويطل داخله**) إنها نائمة. يا الله، ما أجملها عندما تكون نائمة.. (**يدخل يديه داخل الصندوق**) باسم الله. باسم الله. تعالي إلي وكفاك نوما هذا اليوم..

(**يخرج آلة كاتبة عتيقة جدا . يضعها برفق على الصندوق ويجلس أمامها**).

هذه هي محبوبتي، فكيف وجدتموها ؟ أليست هي الأجمل بين كل الجميلات ؟ لقد أسعدتني زمنا طويلا ، ورافقتني في مسيرة عمري . لقد أسميتها (عربية)، وهي فعلا جارية عربية. كنت أكلمها فتسمع، وأنقر عليها فتعزف، وأملي عليها فتكتب.. (**يضرب على الآلة الكاتبة ضربا موقعا. يزداد إيقاع الضرب سرعة وحدة**) وأمطرت الأرض أوراقا، و ملأت السماء أوراقا، وحشوت الملفات أوراقا، وأغرقت المكاتب أوراقا.. (**يلقي بالأوراق في الهواء، ورقة بعد أخرى**)

هذه شكوى.. شكوى العبد الضعيف إلى السيد العظيم في المقام الأعلى، وقد كتبها خادمكم ميمون، نيابة عن كل الضعفاء والمقهورين والمظلومين والمتشردين. لقد رميتها في الهواء، وطارت مع الطيور في السماء. أسلمتها ليد الريح، لتفعل فيها ما تشاء..

و هذه دعوى، وهذا تظلم، وهذا استعطاف، و هذا تذكير، و هذا تنبيه، و هذا توبيخ، وهذا عتاب، وهذا التماس، وهذا طلب للعمل، وهذه

استقالة من العمل، و هذا التماس للعودة إلى العمل، و هذه رسالة إنسان حائر يسأل: ما العمل ؟

وهذا وعد، و هذا وعيد، وهذه صرخة صارخ، وهذه تراتيل و أناشيد

آه.. (**يشم ورقة**) هذه رسالة حب ووصال وهذه .. (**بأسف**) إخبار ـ كتابي ـ بالطلاق و الانفصال لقد عشت مع الناس أسمع نبضهم، وأكتب وأكتب . أسود الأوراق البيضاء، وأتمنى أن زول شئ من سواد هذه الأيام السوداء. وبنفس هذا القلم، وبنفس هذه الدواة و المداد، و بنفس هذه الآلة، و على نفس هذه الأوراق يلتقي الناس بالناس، ويلتقي كل شئ بأي شئ. تلتقي الضحكات والدمعات والدعوات واللعنات و الحكمة و الجنون و يلتقي الصادقون و الكذابون والظالمون والمظلومون والحقيقيون والمزيفون..

سنوات طويلة وأنا أكتب وأقرأ، وأعيش بين الكتب والناس، وأصفق للخطباء و الأدعياء والزعماء، وأهتف مع الهتافين المخدوعين. ضيعت أيامي، وضيعت مدادي ومداد رفيقتي، وما هذا المداد الذي يسيل على أوراقي إلا دمي، أو هو شئ من دمي..

و كتبت.. كتبت.. كتبت، و لم أفعل ذلك وحدي، ولكن بالتواطؤ مع شريكتي (عربية) (مشيرا إلى الآلة الكاتبة).. نعم كتبت، ومازلت أكتب.. (**ينقر على الآلة بشكل حاد وعنيف**) كتبت حتى.. تعبت، ومللت، وقررت أن أتخلى عن هذا الركن المتروي، وأن أغادر الساحة والمهنة، وأن أنشر هلوساتي في صحيفة أو في كتاب.

و قبل الرحيل، قررت أن أحكي، مثل صديقي الحكـــواتي، فمـــا رأيكم ؟ أحكي بكل جسدي، وليس بحروفي وكلماتي فقط، ولتكن هـــذه الليلة المقمرة، هي ليلة الحكي الأخيرة. إذن استعدوا، لتعيشوا معي حلقـــة المثقف..

أنا.. والناس..

ـ 7 ـ

ما رأيكم، لو أحدثكم عني ؟ فأنتم بلاشك لا تعرفـــون أي شــئ عني. و من خلال شخصي الضعيف والخفيف ستعرفون أصحابي ورفاقي، و ما أكثرهم في ساعة الرخاء والهناء، وما أقلهم في ساعة الجدب والعنـــاء، و سترون هذا العالم الغريب بعيوني الغريبة. بعيون كاتب عمـــومي محتـــرف، ومنحرف أيضا..

وأبدأ بصديقي الاشتراكي و أقول، هل تعرفون، دام عزكم، رفيق عمري ودربي الاشتراكي ؟ إنه لا يريد أن يشركني في رزقنا، و لا يريـــد أن يقتسم معي إلا الفقر و البـــؤس و الأحـــلام و الأوهـــام و الكلمـــات و الشعارات؟

وذاك الرأسمالي. سمعتم عنه بلاشك ؟ أخذ ماله و مـــالي ، فـــانتفخ بطنه ، و تضخم سيجاره،وتحسنت أحواله، و ساءت معه أحـــوال النـــاس جميعا وأحوالي ..

آه. و هذا الفقيه الكبير **(و هو يشير إلى رجل في الحلقـــة)** إنـــه لاشئ كبير فيه إلا لحيته المخضبة بالحناء، فهي تأكل من وجهه، كما يأكل

الظلام من ضوء النهار. إنه يسمح لنفسه أن يجتهـــد، و أن يفســـر، و أن يؤول، و أن يحلل، وأن يحرم، و لاشئ أسهل من لعبة التحريم. وهو يمنع عني أن أجتهد أيضا. ليس مثله طبعا، و لكن بشكل مختلف، و في الاخـــتلاف رحمة، و لكنه لا يرحم اختلافي. إنه يقسم الناس إلى طائفتين لا ثالث لهما، فنحن عنده إما أهل الجنة أو أهل النار، قلة منا ـــ يا سادة يا كرام ـــ مـــن المؤمنين و الباقي كله من الكفار..

و هذا الفوضوي.. (ينتقل إلى رجل آخر) إنني أعترف بفوضاه، و أقول هذا حقه، و تلك حياته، يفعل بها وفيها ما يشاء، و لكنه ـ بالمقابل ـــ لا يريد أن يعترف بنظامي. إنه يفرض على القبح و الصخب، وهو يقـــول، هذا العصر عصر الصخب، و يفرض علي الضجيج، و هو يقول هذه هـــي موسيقى العصر، والموت الموت لأعداء العصر. إن هذا الوقت وقت الجنون والحمق والعنف و ليس وقت الطرب.. (**يقترب شرطي من الحلقـــة**) و ذلك الشرطي، صاحب البدلة و المسدس..

الـــشرطـــــــــي: ماذا به الشرطي يا ميمون ؟

- إنني أدفع له ثمن الأمن، و لا يعطيني إلا الخوف، و متى كـــان الخـــوف بأجر، أو كان له ـ يا أصحابي ـــ ثمن ؟ متى؟ (**يقترب عسكري و هو يحمل بندقيته على كتفه**)

و هذا العسكري، هل رأيتموه ؟

الجـــــميــــــع:

- رأيناه..

- إنني أشتري له البندقية من قوت عيالي، و أعطيه بدلته و عربته ودبابته، فيترك أعدائي في سلام، و يلتفت إلى. يترك حراسة الباب، و يقتل من في الدار. ينقلب علينا، مثل الزمن، و يسمى هذا الجرم انقلابا. و هـو في أحيان أخرى يسميه أسماء أخرى. يسميه .. يسميه..

واحد من الناس:

يسميه ثورة يا ميمون..

- نعم، وإنني أتساءل. ألا تكون الثورة التي يعني، هي أنثى الثور، و نحـن المساكين لا ندري؟ (**يضحكون**) (**ينظم إلى الحلقة شاب يتأبط كتبا و مجلات**" و ذلك الرفيق.. ليس أنت بكل تأكيـد، رفيـق الـدرب والطريق، نختار معا نفس الوجهة و نفس الطريق، فيركب هو، و أمشي أنا، و يصل وحده، و لا أصل معه، و أسأله، كيف يحدث هـذا يـا.. صاحبي، فيقول..

الـرفـيـق: أنا جاءتني الفرصة فانتهزتها، و ما النجاح إلا فرصـة عابرة، يقبض عليها القابضون، و يضيعها المضيعون..يا ويلي.. (**و هو ينظر بعيدا**) ماذا به هذا اليساري ؟ إنه يؤذن في الناس بغير أوان، و يهتف بأعلى صوته أن.. يحيا اليسار، و حيا على ال.. يسار، و لكنـه لا يمشـي إلا في اليمين، فلماذا ؟ و ما الحكمة في هذا ؟ إنه ، وهو أمام الناس يدخن أسـوأ أنواع التبغ ، و يشرب أسوأ أنواع النبيذ ، و لكنه ، في الفنادق الأخـرى ، يعيش حياة أخرى . آه و آه. ما أسعده و ما أتعسنا. نحن نعيش نصف حياة أو ربع حياة، أو نفحة من حياة، وهو يعيش حياتين كاملتين، و يخرج للناس

بوجهين، و يتكلم بلسانين. و يربح مع الصاعدين ومع النازلين و مع المؤمنين ومع الكافرين..

و هذه المرأة المزوقة.. (**يشير إلى امرأة في الحلقة**) إنها تطالبني بحقوقها الأخرى، مع أنني لا أعرفها، و ما هي ابنتي و لا أختي و لا هي زوجتي و لا مطلقتي. لقد أخذت مني كل شئ، و ما تركت معي أي شئ. لا شئ إلا الجلد الذي يكسو عظمي ، و هذا الرداء الذي يستر عورتي ..

لقد أعلنت علي الحرب، وقالت..

المرأة: أنت خصمي وعدوي. اعطني حقوقي و حريتي و أطلق يدي. . (يضحكون)

- وسألتها ـ بكل احترام طبعا ـ عن جرمي وذنبي فقالت ..

المرأة: ذنبك أيها الرجل.. أنك رجل..

- الله أكبر، و صافي يا للا ؟
- و صافي.. (**بدلال**)
- و ذلك الإنسان الآخر، في الوطن الآخر، قال لي، كلمني بلغتي، و سألته ما هي لغتك، فقال، بلغته طبعا..

رجل من الناس: هي الإفرنجية أيها الأمي..

- آهاه .. هي الإفرنجية ؟
- كلمني بها، و إلا، فوالله و بالله و تالله، لن أسمعك، و لن أعرفك و لن أفهمك، و لن أعتبرك من الناس المتحضرين.. (يضحكون)

و قال لي غيره. و هذا واحد منهم. ماذا قلت لي يا صاحبي ؟

واحد من الناس: أنا ؟ (**يهيئ نفسه ليمثل**) قلت لك، كن مثلي في كـــل شيء، نسخة أخرى مني. أخرج من جلدك، ولا تكن نفسك، و إياك إياك أن تكون مختلفا عني، و اعلم يا هذا، أن المختلفين معي متخلفون، و أن كل الآخرين متأخرون، و أن كل العالم هو هذا، و ليس وراء هـــذا العـــالم إلا الأدغال و الأحراش و الصحارى القاحلة و الموحشة. هل فهمت ؟

◆ أظنني فهمت و ذهبت إلى المهرج ليضحكني، فأضحك الناس علـــي، و لم يضحكني، و أشقاني فعله هذا، وعذبني وأبكاني. و عرفت أن قنـــاع المهرج أصبح يستخدمه المقنعون، و أن المهرج الحقيقي قد مـــات. رأى ما لا يسر القلب و مات..

واحد من الناس: صلاة الجنازة و هو رجل.. و اســـتعنت بالمحـــامي عبـــد المعين، و قلت له، يا أيها المحامي احمني من ظلم المحتالين، فضحك ضـــحكة خبيثة وقال..

رجل من الناس: أنت مغفل ، والقانون يا ولدي لا يحمي المغفلين ..

◆ و سألت الناس، بمن أستعين أيها الناس ؟ فقالوا.الوا ..

الجـــمـــــيـــــع: استعن بالله وحده..

و ذهبت إلى القاضي لينصفني، فوجدته رجلا منسفا، و فعـــلا يـــا إخوتي، فقد نسفني القاضي نسفا، وقضى علي بالضربة القاضية..

(**يكلم نفسه، و قد بقي وحده داخل بقة ضوء ضيقة**) يا أيهـــا الآخر الذي يسكنني، لم يبق لي من الناس إلا أنت. ضيعت كـــل أهلـــي و صحبي، أو ضيعوني.. أنبئني يا ضميري، أي الطرق أختار ؟

الصوت الخارجي:اختر أسوأ الطرق، تصل إلى أحسن المدائن..

- غير ممكن..
- إن أقصر الطرق، و أضمنها، و أسلمها كلها، هي الطرق المعوجــة و الملتوية.
- إنك ترعبني بحديثك هذا..
- و أنت تتعبني باستقامتك التي لا معنى لها..
- سامحك الله..
- ستلاحقك الاتهامات و اللعانات من كل الجهات، و ستخسر الكل، و لن تربح أي أحد
- لا يهمني إذا خسرت العالم وربحت نفسي..
- المصيبة يا أنا، أنك خسرت العالم، و سوف تخسر نفسك. سيأتي غــدا من يخرجك من ملتك، و يقول لك، أنت كافر. أنت مارق و زنديق. أنت مرتد، لعنة الله عليك و على كل أصحابك من الجاهلين..
- لا لا لا..
- دمك حلال، وزوجك عليك حرام، و أبناؤك حرام..
- يا رب العالمين، ماذا جرى لهذه الدنيا ؟ و ماذا أصاب الناس ؟
- و ستجتهد لتكون مواطنا صالحا، و سيخرج لك من يتهمك، و يقول لك. أنت خائن..(**بلهجة حادة**)
- أنا ؟
- نعم أنت. إنك تأتي بأفكارك من أعداء الوطن، و ما أنت إلا صدى..
- و لكن، قيم الحق و الجمال و الخير ليست ملكا لأحد، و في طريقهــا نلتقي كلنا، سواء نحن الذين هنا أو أولئك الذين هناك..

- يخيل إليك فقط..
- آه، و ماذا سيقولون عني غدا، إذا تمسكت بأفكار الأجداد وحدها ؟
- سيقولون إنك رجعي و سلفي و ظلامي و محنط و.. ميت مع وقف التنفيذ..
- و إذا توضأت، و ذهبت إلى أقرب مسجد في الحي، و صليت مع المصلين، ماذا يقول عني القائلون ؟
- سيقول المتقولون، ما هكذا تكون الصلاة يا أخانا في الله..
- ماذا أسمع ؟
- و كل صلاتك باطلة، و كل دعواتك باطلة، و كل سعيك باطل، و كل عمرك باطل أيضا..
- أرجوك يكفي.. يكفي..
- هذا العصر عصر النساء، و ستتهمك النساء إنك رجل، و ستجد نفسك مضطرا لأن تدفع التهمة عنك، و أن تقول بأعلى الأصوات، و الله و بالله و تالله ما أنا برجل، و ما أنا إلا (خنثى)..
- سأتخلى عن شاربي و عن لحيتي..
- شئ جميل، و ستكون صورتك مقبولة، و لكن..
- ماذا ؟ أمازال في الأمر لكن ؟
- سيتهمك إخوانك الملتحون لأنك بلا لحية..
- إذن، سأعيد اللحية إلى وجهي..
- و هل فكرت جيدا في ضريبتها ؟
- ضريبتها ؟

- ستصبح مشبوها، و يضعون لك ملفا، و تصبح حركاتك وســكناتك محسوبة، و كل هذا لأنك تحمل في وجهك لحية..
- سأهجر هذه الأرض، و أعيش في بلاد الغربة، فهي أرحم من بلادي، و الناس فيها أرحم من أهلي و من عشيرتي..
- من قال لك هذا ؟ ستكون متهما أيضا، لا لشئ يا أخــي، إلا لأنــك لست كباقي الناس أشقر..
- سأصبغ شعري..
- لا يكفي..
- سأصبغ جلدي
- لا يكفي
- سأصبغ فكري..
- و لكن، هل فكرت، عندما تعود إلى بلدك، ماذا يقول الناس عنــك، و أنت أشقر ؟
- ماذا يقولون ؟
- سيقولون إنك ابن زنى و ابن حرام، هل فهمت يا.. ولِد الحرام ؟
- (**يضحك. تعود الإضاءة كاملة و يعود معها الناس**) هذا هو أنا، و ذلك العالم الذي حدثتكم عنه، هو عالمكم وعالمي، وعالم كل الناس في هذا الزمن. سأجمع صوري و أفكاري و أضعها في مخطوط كتــاب، و أذهب للسيد الناشر، و أقول له، أنشر هذا الكتاب، ستدخل التــاريخ من أبوابه الواسعة، و سيسألني باحترام كبير، بأي شئ تريدني أن أنشر لك هذا الكتاب أيها المؤلف ؟ و أقول له ـ بوقار العلماء وتواضعهم ـــ

بمنشارك الكبير و الخطير طبعا ، و هل تملك أنت غيره أيها النجـــار ؟
عفوا.. أيها النشار.. عفوا مرة أخرى، أيها الناشر..(**يضحك في ألم**) ثم سأذهب بعد ذلك إلى الموزع و أقول له. خذ بدني وروحي، و وزعني على إخوتي و أبناء جلدتي. وزع عليهم حماقاتي وهلوساتي و شطحاتي وعذاباتي.. (**يضع الآلة الكاتبة في حقيبتها اليدوية**) لقد انتهت الحلقة، و انتهى الكاتب العمومي، وانتهت هذه الساحة، وانتهى عصر الحكي.
إنني عائد من حيث أتيت. ذاهب و معي (عربية).. لن أقــول لكــم وداعا، لأننا حتما سنلتقي، ليس في هذه الساحة و لكـــن.. في فضــاء الأوراق المسودة بالكحل..(**يدير ظهره للجمهور و يمشـــي. يخفــت الضوء شيئا فشيئا إلى أن يختفي كليا..**)

حدثنا المرشد قال..

ـ 8 ـ

(يعود الضوء. يدخل الحكواتي، و هو يلتفت خلفه)

لقد ذهب هو، وعدت أنا. رحل صديقنا الكاتب العمومي، بحثا عن نفسه. و من يدري، قد يكون وجد نفسه ـ كلها أو بعضها ـ وجدها في حارة أو زقاق أو عند مفترق طرق، و لكن نحن.. نحن لم نجده، و لم نعثر عليه.. لقد ابتلعه الزحام، و تحلل ظله في بحر الظلام، وذاب جسده الضئيل والنحيل بين الأجسام.هنا. في هذا المكان العاري كان دكانه.. دكانه الذي ليس دكانا، و لكنه حلقة أجساد حية.كان له كرسي خشبي وطاولة متهالكة و مظلة عتيقة.. مظلة تقيه حر الشمس صيفا، ولا تمنع عنه ماء السماء، إذا أمطرت السماء ماء، في الخريف وفي الشتاء.

هنا.كانت حلقته تعقد كل يوم، من مطلع الشمس إلى مغربها، و قد تعودنا أن نسمعه ونراه، والناس حوله يتكلمون، و ينفعلون، ويشتكون، و هو.. يسمع و يكتب. كانوا يحكون له الحكايات الجديدة، وعندما كان يكلمني عنها كنت أقول له:

◆ والله يا صاحبي، هذه الحكايات أغرب من كل الحكايـــات الـــتي حكيت. حكيت أنا، و حكى أبي و جدي، و حكى كل أسلافي الحكواتيين من قبلي..أعترف لكم.صاحبي الكاتب كان أعقل مني. هجر هذه الساحة قبل أن تهجره، و غادر مهنته قبل أن تغدر بـــه، وهكذا هو الإنسان الشاطر دائما، يعرف متى يـــدخل المـــداخل الخطيرة، و متى يخرج منها، ومتى ينسل إلى الأشياء، و متى يســـل شعرته الدقيقة والرقيقة، من طينها ومن عجينها..آه.. أما صديقنا الآخر، طارق بن طارق، فماذا أقول لكم عنه ؟

من الأحسن أن أدعه يقدم نفسه بنفسه، فهو أعرف بذاته وبمهنته. أليس كذلك؟ انتظروا إذن لحظة. انتظروا حتى يحضر.. (**ينادي**) أدخل يا طارق، و لا تنتظر حتى تطرق الباب، فما لهذه الساحة باب و لا لها بواب.

(يدخل طارق بن طارق، و هو في زي المرشدين السياحيين)

◆ هل رأيتم ؟ إنه في كامل أبهته. طبعا، زي المرشد السياحي لـــيس هو زي المغني ولا زي الحكواتي و لا زي الكاتب العمـــومي و لا زي (لمسيح).. قل يا طارق، كيف تشتغل، و ماذا تقول لبنائك ؟

طارق:ماذا أقول لهم ؟ أقول.. (يضحك) تعال يا مسيو. من هنا.و تعـــالي أنت يا مدام، وانظر يا سنيور، وانظري يا سنيوريته. هـــذه هـــي بلادنـــا. ساحرة وفاتنة.إنها متحف حي يا مستر. مفتوح طوال الأسبوع و على مدى الشهور والدهور..تأملوا هذا (الكراب) إنه لا يبيع الويسكي ولا الكونياك، ولكنه فقط يبيع الماء. غدا ستعودون إليه، عندما تجف ينابيع الماء، ولا يعود أمامنا وفينا إلا الضمأ، وتكون كل الحروب القادمة حروبا من أجل هـــذا

السائل الذي يسمى.. الماء..(يضحك) هي نكتة بلاشك؟و تأملوا هـذا الرجل المجنون. إنه لا يربي الأبقار ولا الدواجن، ولكنـه يـربي الأفـاعي والثعابين. خذوا له صورا كثيرة، من جميع الزوايا، و بكل الأوضاع الممكنة. خذوا له الصور، قبل أن تندموا غدا، فصاحبنا هذا من الكائنات المرشـحة للانقراض والفناء..

و هذا.. صديقنا معروف الإسكافي، أما ذلك الذي بجانبـه فهـو رفيقه وجاره.. جاره درويش الحافي، وهو حمال محترف، ليس له عربة، وهو عربة نفسه، وليس له بهيمة و هو بهيمة من يسأجره..

و هذا هو شعبان القراد. إنه وصاحبه القرد لا يفترقان أبدا، و لكم أن تتساءلوا، من فيهما يكون المبدع الحق، و من عساه يكون الفنان ؟ هذا القرد الممثل والمقلد، أم هو صاحبه ومولاه شعبان ؟

و هذا ؟ .. (**مشيرا إلى رجل يفترش الأرض و أمامه مجموعة من الأعشاب البرية**) ماذا أقول لكم عنه ؟ إنه صيدلي و طبيب وجراح. إنـه يداوي بالأعشاب جميع الأمراض، النفسية والعضوية والعقلية. و كل هـذا بهذه الحبة الصغيرة (**يأخذ بيده حبة**) اسمعوه جيدا عندما يقول.

الـعشـاب: الحبة السوداء دواء كل داء..

- تسألون عن هذا الرجل ؟ إنه يمسك بيده حزمة مفاتيح. إنني أراه لأول مرة، و ما أظنه إلا أحد الملاكين. يمكنني أن أقترب منه، وأن أسأله.
- يا هذا الرجل ماذا تعمل ؟

الـرجـل: إنني أعمل بوصية والدي المرحوم..

- **جميل جدا، وماذا كانت وصية والدك المرحوم ؟**

- لقد أوصاني أن أفتح متجرا يا صاحبي..
- و هل فتحت متجرا كما أوصى الوالد ؟
- ليس متجرا واحدا، ولكن كل المتاجر التي ترى. إنني أفتحها بهذه المفاتيح التي تري. أفتحها ليلا والناس نيام..
- أنت سارق إذن ؟
- خانك التعبير يا صاحبي. إن ظالم الظالمين ليس ظالما، وسارق السارقين ليس سارقا، وأنا ـ يشهد الله ـ لا آخذ إلا حقي..

الحكواتي: هذا هو صاحبي طارق بن طارق. كان سعيدا بحاله و بحكاياته التي يحكي، و لكنه مع الأيام وجد نفسه يتغير. لقد أغراه السائحون بالهجرة، و حرضوه على الهروب من الساحة، و من هذا الوطن كله. لقد زينوا له الانفلات من هذه اللحظات، وحرضوه على الهروب من القبور و القصور و الحصون و من تاريخ الناس الذين كفوا عن الحياة. كانت مهمته أن يحكي للسائحين عما حدث وكان، في سالف العصور والأزمان. حدثهم عن السادة الموتى، فحدثوه عن الأحياء، وكلمهم عن الموت فكلموه عن الحياة. قال لهم، وهو يدلهم على المآثر الباقية:

طارق: يا سادة يا كرام.. هذا التراب، وهذه الأحجار، هوكل ما تبقى من أولئك السادة والحكام. لقد سادوا ثم بادوا، وذهبوا في طريق الفراغ وما عادوا. إن الأحجار ـ لو تعلمون ـ أكثر خلودا من القواد والأمراء ومن السادة الكبار..

الحكواتي: كان يحكي لهم عن الغائبين، وظلوا يحكون له عن الحاضرين. كلمهم عن الذين كانوا، و نسي التفكير في ذاته، وكيف يمكن أن يكون،

اليوم وغدا وبعد غد. لقد بشروه بوجود ممالك أخرى جديدة، بها مـــال و جمال وكل ما يمكن أن يتصوره الخيال، وكان ضروريا أن يثور على نفسه، وأن يكفر بماضيه، وأن يتمرد على حاله، وأن يدير ظهره لأهله، وأن يرمي بالجلباب الأبيض والبلغة الصفراء، و بالشارة النحاسية التي على صـــدره (**يشخص طارق ما يقوله الحكواتي)..لقد تخلى عن عمره القـــديم وقـــال لنفسه:**

طارق: يا ويلي.. الآن فقط أدركت ـ بعد فوات الأوان تقريبا ــ أن المرشد في حاجة لمن يرشده.. يا أيتها الأمم الأخـــرى، في القـــارات الأخـــرى، أرشديني للفلاح والصلاح ولك أجر عظيم من رب العرش العظيم. أرشديني إلى الطريق التي تؤدي إلى الحياة والى الغنى وإلى المعرفة وإلى الجمـــال و إلى الكمال، وإلى الهناء و الارتواء وإلىالإنتشاء.. أرشديني.. أرشديني.. (**يخرج وهو يجري ـ ظـــلام)**

أنا الغريب أو أنتم الغرباء؟

ـ 9 ـ

(يعود الضوء، و إذا نحن في فضاء مدينة حديثة. طارق بن طارق، وهو في بلاد الغربة، يتأمل المكان حوله في اندهاش واستغراب. ترسم الأضواء، المتغيرة والمتلونة، ملامح هذا المكان الجديد..)

طارق: يا الله. أين أنا ؟ و مع من أنا ؟ هؤلاء الناس .. **(يحاول أن يلاحق أشخاصا وهميين)**كنت أعرفهم هناك، ولكنهم هنا، لم يتعرفوا علي، فمن الذي تغير فينا ؟ هم، أم أنا ؟

هذه مدينة ملعونة، و هي تحيا بلا كبد و بلا قلب. إنها عملاقة عمياء و صماء، تمتد من الأرض إلى السماء. إنها تمشي و تمشي بخطى مرعبة، و تخبط في الأرض خبط عشواء، و مأساتي في مدينتكم ـــ يا أهل هذه المدينة القاتلة ـــ أنني ضئيل الحجم و الوزن، و أنني لا أثقل أرضا، و لا أسد فضاء. قلبي يتعبني، و خيالي يخونني، و عشقي للجمال يورطني، و يضيق فكري عن كل ما جرى، و يجري..

ولكن، في الليل يختلف كل شئ (يصبح الفضاء شاعريا) و تصبح هذه المدينة مدينة أخرى. تكون أقرب إلي، و أكون أقرب منها، و أعرفها،

و تعرفني، و لا تنكرني، و لا ترفضني. أنظروا، إنني أمشي في هذه الشوارع وحدي. أمشي فيها و لاأحد معي إلا ظلي، ولا يفسد علـــي نشـــوتي إلا دوريات الشرطة. إنها تعيدني إلى حجمي الطبيعي، أو إلى مادون حجمـــي الطبيعي..(**يسمع صوت سيارة الشرطة فيختبئ**)

(**يخرج من مخبئه**) ذهبوا، و لكنهم سيعودون. قلت، في هذا الليل أستعيد جسدي، و أمشي، و أسمع وقع أقدامي، و أتنفس، و أحـــس دفء أنفاسي.. يا الله. ما أغرب هذه المدينة، إنها أمنا التي ترضـــعنا، و تطعمنـــا، والتي تجعلنا نتجرع شراب العلقم و شراب السم. اللعنة عليها و على كـــل المدن التي ليس لها قلب..

يا أيها الليل، يا سلطان الحبشة و السودان، أنا مثلـــك تمامـــا، في ظلامك أصبح سلطان نفسي، و يصبح هذا الفـــراغ مملكـــتي، و أســـتعيد استقامتي، و أتنفس بشكل جيد، و ألتقي بالصعاليك من رعيتي، و أقـــول، هؤلاء أهلي و إخوتي، و أحييهم من بعيد (يقترب من مجموعة من الشباب) و يردون التحية.. عمتم مساء. مساء الخير. هيللو، ثم أقتـــرب منـــهم، و أشاركهم طعامهم و شرابهم. باسم الله (يأكل) و أحس إن هؤلاء الغرباء لم يعودوا غرباء، ربما لأن الليل ـ وعكس النهار تماماـ هو أبو الجميع؛ أبـــو السعداء و الأشقياء، أبو الأغنياء و الفقراء، أبو الحمقى و العقـــلاء، أبـــو الأتقياء و السفهاء..

في ظلام الأرحام نلتقي، و في ظلمة القبر نلتقي، و لكن ضوء النهار يفرقنا.. بعد قليل سيولد فجر يوم جديد. ستخرج الشمس الفضـــاحة، و ستعريني، و تظهر للعيون تعاستي و ضآلتي. ستدب الحياة في هذه الـــدروب

النائمة، و سيعم الضجيج و الصخب، و ستسحقنا الأحذية، و سأذوب في الزحام، و أتلاشى، و لا أعرف نفسي..(**صوت السيارات، و ضجيج المنبه**) آه.. سامح الله النهار، ليس لي في هذه المدينة بيت، و هذا الليل بيتي، و ليس لي في ظلمة الليل عنوان، إلا هذا القمر الذي في السماء، و هذه الساحة المضاءة بأضواء البلدية، و المفتوحة على السماء، و على القمر و النجوم و على الفضاء اللامحدود..

و لما ضاقت بي المدينة ـ على رحابتها ـ و لم أجد مأوى، نمت في الحدائق، و في محطات القطار و تحت القناطر، و لم أنتبه يوما إلا و أنا وسط قبيلة من الغجر، و أصبحت واحدا منهم.. (**يدخل وسط مجموعة من الغجر، و يشاركهم الرقص على قارعة الطريق**)

يا الله. هؤلاء الناس لم ينكروني، و لم يسألوني عن لغتي و عن ديني عن وطني. لقد فهموا قولي، و فهمت قولهم، مع أننا تكلمنا بلغتين، و ليس بلغة واحدة. لقد استعنا بالإشارات فتفاهمنا. لم يلتفتوا للوني. رحبوا بي، و أشركوني طعامهم و شراهم، و أسمعوني بالغيتارة أشجى الألحان، و رقصت معهم، و عربدت، من مغرب الشمس حتى.. مطلع النهار. قلت لذاتي، هؤلاء حقا إخوتي، و قبيلتهم قبيلتي، و مذهبهم في الحياة مذهبي، و نادوا على واحدة من نسائهم، و زوجوني ها. ألبسوني هذا الرداء السلطاني (**يشخصون ما يقول**) و قال قائل منهم:

صوت خارجي: نحن لنا في كل ليلة عرس، وأنت عريس هذه الليلة..

- الله يكثر خيركم (**يرتدي البدلة**) و وضعوا على رأسي هذا التاج و قالوا:

صوت خارجي: لقد توجناك بتاج الزوجية، و جعلناك واحدا منا. خـذ. كل خبزنا، و اشرب خمرنا، و كن أخانا الذي لم تلده أمنا..

و لم أسأل عن اسم زوجتي، و لا عن عنوانها. و لأن كل شئ قد تم في لمح البصر، فإنني لم أتمكن من تمثل ملامح وجهها، و لهذا، فإنني كلما التقيت غجرية إلا وقلت لها.. أنت زوجتي ؟

امرأة من الناس: لا لا.. أنا عازبة..

- إذن كوني زوجتي.. (**تتركه وحده و تمشي**) ما هذا ؟ ألا تريدين أن تكوني زوجتي ؟ لقد ضيعت أم أولادي . ضيعتها يا أصحابي، و أنا الآن أرمل..

كان هذا في الليلة الأولى، أما في الليلة الثانية فقد حضرت مـؤتمرا للغجر، و وقف الجميع و جلسوا، و اتفقوا و اختلفوا، و غضبوا و هدأوا، و رددوا الشعارات غناء، و رتلوه ترتيلا، ثم ترجموا الكلمات حركة ورقصـا، و في الأخير خرجوا بقرار، و صفق الجميع، و ذهبوا للنوم فجرا. أما أنا فقد ذهبت أبحث عن غجريتي الضائعة.. يا نساء العالم. من كانت فيكن زوجتي فلتتقدم، و سوف تفوز ـ إن شاء الله تعالى ـ فوزا عظيما، فأنا هـو ذلـك (ولد لحلال) الذي تبحث عنه كل أنثى..

(**يغير لهجته**) كان هذا في الليلة الثانية، أما في الليلة الثالثـة فقـد تجمعت جموع الغجر في أكبر ساحة بالمدينة. جاءوا في كامل زينتهم، و أنا أيضا ارتديت هذا الزى (**يغير زيه**) إنه هدية من كبيرهم الذي زوجـني.. زوجني زواجا كرنفاليا لا يمكن أن يقع مثله إلا في الأحـلام و الأسـاطير. ووضعت هذا المنديل على رأسي، و وضعت هذه الوردة الحمراء في جيـب

سترتي، و سرت مع السائرين (**يسير في مسيرة ترفع الأعلام و اللافتات و تردد الأغاني و الأناشيد الحماسية و الشعارات**) لقد غنوا، و غنيت، و لم أدر ما قالوا و لا ما قلت. لقد رددوا شعارات نارية، ورددها معهـــم، وإن كنت لم أدرك معناها، و ماذا يهمني في معنى الكلمات، و قد إقتننعت بهم ؟ (**أضواء تتراقص، و أعلام و لافتات تداعب الريح و صوت صـــفارات البوليس**) ما هذا ؟ إن هؤلاء الناس يحيون عرسا، عرسي أنا، و هـــل يمنـــع البوليس في هذا البلد إقامة الأعراس و الليالي الملاح ؟ سبحان الله. ظننـــت هذا لا يحدث إلا عندنا.. و غنيت مع المغنين، و رقصت مع الراقصـــين، و شربت مع الشاربين، وصرخت مع الصارخين، حتى بح صوتي، و لم أكـــن أعرف ما أقول، صرخوا فصرخنا، و هتفوا فهتفنا، و هذا كل شـــئ.. يـــا الله.كان الغناء احتجاجا، و أنا لا أدري. نعم، ولكنه ـ والشهادة لله ــ كان احتجاجا جميلا و نبيلا، و كان الرقص رفضا و سخطا، و ما كنت أعلـــم ذلك..

(**يساق، و من معه، إلى الاعتقال**) أوقفونا كلنا. منعونا من الغناء و من الرقص، و وضعونا في السيارات، و اقتادونا إلى المعتقلات.. (**و هو جالس إلى الأرض**) هنا فقط، على هذا الإسفلت البارد، عرفت كل شئ. كان معي في الزنزانة زعيمهم الذي زوجني، وطلبت منـــه أن يتكـــرم، وأن يقوم بمجهود إضافي، و أن يشرح لي الأمور. قل يا سيدي، أصلحك الله و أصلح بك البلاد و العباد، ما هي مطالبكم في هذا الوطن ؟

كبير الغجـــــر: مطالبنا في هذا الوطن هي ألا يكون لدينا وطن..

- ها.. إن الرجل يمزح بلاشك..

- و أن تكون كل الأوطان أوطاننا، ندخلها متى نشاء، و نخرج منها كيف نشاء..
- هذا شئ جميل، و لكن، هل هو ممكن ؟
- لقد رأينا أن كل الحروب تنشأ من هذا الوهم القاتل و المدمر..
- أي وهم يا سيدي ؟
- هذا الذي يسمى الوطن..
- سبحان الله، و متى كان الوطن وهما ؟
- لقد رأينا ـ نحن معشر الغجر ـ أن كل الحروب الكبرى تنشأ دائما من الأوهام الصغرى، و صدقني إذا قلت لك، إنه ليس في الأوهام وهم أخطر من هذا الوهم الذي يسمى.. الوطن..
- الوطن وهم ؟. لا يا سيدي لا..
- هذه الأرض ضيعة كبيرة، فيها أسياد و فيها رعية، و الدفاع عنها ليست مهمتنا نحن الرعية، و لكنها مسألة تخص الأسياد وحدهم. إن من يملك يدافع عما يملك، و من يحكم يدافع عن حكمه، أما نحن، فما خلقنا إلا لنأكل و نشرب، و نغني و نرقص، و نمارس الحب، مع من نحب، جهرا و في واضحة النهار.. تذكر الساعات الجميلة وحدها، وحاول أن تنسى كل ما عداها، و قل معي لتسقط الحرب، و ليسقط العدوان حيثما كان..
  - يا سيدي.. يؤسفني أن أخالفك الرأي..
  - خالفني كما تشاء، والمهم يا صاحبي ألا تخالف نفسك..

- إنه لا يعرف حقيقة الأوطان إلا من كان مثلي أنا؛ فقيرا بئيسا وكان رصيده في الدنيا وطنه، وطنه فقط ولاشئ غيره..
- يا صاحبي الذي لا أعرف اسمه و لا من حيث أتى، نحن حين أحببناك أحببناك أنت. نعم أنت، و ماسألناك عن وطنك، لأن تلك مهمة أخرى، و تلك المهمة الأخرى ليست مهمتنا..
- مهمة من هي يا سيدي ؟
- مهمة البوليس يا صاحبي.. أنت مثلي لا تملك إلا جسدك، فالتفت إليه و صالحه، واحمله في البر و البحر، و في السماء إذا استطعت. وطنك الحق يا صاحبي، هل تعرف أين يكون؟
- نعم أعرف، إنه يقع خلف هذا البحر..
- لا لا.. وطنك الحق هو.قبرك. ..
- كنت مخدوعا بينكم..
- قد يكون، ولكنك كنت سعيدا معنا، أليس كذلك ؟ إن أسعد كل الناس ـ يا صاحبي ـ هم الحالمون و الخياليون وهم المخدوعون بإرادهم.إياك أن تندم على ساعة فاتت، خصوصا إذا كانت ساعة فرح..
- لقد أكلت معكم، وشربت، و رقصت و غنيت، وطرت عاليا و حلقت، و نسيت نفسي و أهلي، وقلت أنتم إخوتي، طريقكم طريقي و عالمكم عالمي، و تزوجت امرأة، وكان زواجي وهما، و كانت فاتنتي شبحا من الأشباح..
- آه.. (**يضحك**) و هل هذه الأيام الملاح يا صاحبي إلا أشباح ؟

(**يسمع ضجيج بالخارج، و تتحرك المفاتيح في الأقفال الصدئة. يفتح باب لا نراه، فيدخل منه الضوء..**) لقد جئتم ؟ كنت أعرف ذلك، لأن براءتي واضحة، وهي أكبر من أن تخفى على عين مبصر..

- يا صاحبي، ما عاد في هذه المدينة من يبصر.. إلا نحن..
- أنتم ؟ ومن أنتم ؟
- نحن إخوانك و أصهارك الغجر.. (**يقتاده رجال لا نراهم**)
- إلى أين تأخذوني ؟ أترك أنت يدي. إنك تؤلمني. من حقـــي أن أعرف، إلى أين تذهبون بي.. (**تدفع به الأيادي التي لا نراهـــا إلى الخارج. ظـــــلام**)

الحوار أم الاستنطاق ؟

– 10 –

(يعود الضوء، وإذا بطارق على كرسي الاستنطاق. يجلس تحت الضوء. يدور الكرسي باتجاه الأصوات التي تأتيه من الأركان الأربعة)

صوت خارجي: من أنت ؟

- لقد جئت هذا البلد و لاشئ معي. كان من المفروض أن تكون لي في جيبي بطاقة تعريف، و لكنني جئت بلا جيب.. إنني نكرة، ذرة ضائعة و تائهة..

إنني أملك النجوم، و ليس لي سماء، و يلفني الموج، و يغرقني الماء، و تغوص قدمي في الرمال المتحركة، و أعرف إنني أتحرك في صحراء..

الصوت الخارجي: ماذا لديك ؟

- لدي عضلات للإيجار، فمن يطلب ؟ أنا عبد في زمن الحرية، و سقط متاع في زمن الإنسان، فمن يشتري ؟

الصوت الخارجي: من أنت ؟

لست من الجن و لا من الملائكة. لست راهبا و لا قديسا. لست عرافا و لا ساحرا. لست سارقا و لا مجرما. لست منكم و لست منهم، و لكنني محسوب على قومي..

في زمن مضى، كنت أحسبني رساما، و عندما تألمت، و تعذبت، و سافرت، و تغربت، و مت و انبعث، اكتشفت إنني من الممكن أن أكـــون شاعرا. و أردت أن أكون حكيما، و لكنني لم أكـــن، لأنـــني لم أجـــد في الأسواق إلا (الحما ق)

الصوت الخارجي: من أنت ؟

- أنا عبد من عبيد الله..
- من أية أرض أنت ؟
- من أرض الله
- من الذي أتى بك إلى هنا ؟
- مشيئة الله..
- هل تبحث عن أحد ؟
- أبحث عن إخوتي في الله..
- ألا تخاف شرطة الحدود و الجمارك و خافرات السواحل؟
- أخاف الله..
- من هم أحبابك في هذا البلد ؟
- كل أحباب الله..
- و من هم أعداؤك ؟
- كل أعداء الله
- و ما هذا الكتاب الذي معك ؟
- إنه كتاب الله..
- ما اسمك ؟

- طارق بن طارق بن عبد الله..
- و متى ولدت ؟
- يوم أراد الله..
- و كيف تريد أن تموت ؟
- كما يشاء الله..
- و لماذا لونك أسمر ؟
- لا تسألني أنا..
- و من أسأل ؟
- اسأل الله..
- إنك لا تتحدث بنفس لغتي..
- نعم، و لا أنت تتحدث بنفس لغتي..
- إذن لا يمكن أن نتفاهم ؟
- بلى.. يمكن أن نتفاهم..
- و كيف ذلك ؟
- بمشيئة الله..
- أنت أصولي.. أنت إرهابي.. أنت متعصب.. أنت متحزب.. خذ حقيبتك و عد من حيث أتيت.. (**تلقي به أيادي خفية إلى الأرض، ثم ترمي إليه بحقيبة عقتية).**
- هذه الحقيبة ليست حقيبتي..

(من مكان آخر، ينبعث صوت آخر، يخاطبه بهدوء و تسامح هذه المرة)

- يمكنك أن تنصرف يا سيدي..
- **يا سيدي ؟ (مستغربا)**
- اذهب إلى حيث تشاء، وابق معنا إذا شئت، فأنت حر في بلاد الحرية. يمكنك أن تجوع، و أن تضما، فأنت حر. سر في الشوارع لابسا أو عاريا، فالأمر لدينا سيان، و أنت في كل الأحوال حر كالريح.. أعبد الله أو أعبد الشيطان. كن معنا أو مع الآخرين، فأنت حر. ويمكنك أن تضع حدا لحياتك، متى تشاء، وكيف تشاء، وأن تنتحر، في الليل أو في واضحة النهار، فأنت حر..
- أعوذ بالله..
- بالسلاح الأبيض أو بالسلاح الأسود، فأنت حر..
- ما هكذا أرى الحرية يا عباد الله، و ما هكذا ينبغي أن تكون..
- أنت سيد نفسك، ورب أعمالك و أفعالك، و قدرك أن تكون حرا مع الأحرار. اسمع يا هذا. يمكنك أن تكون شاذا أيضا، فنحن متسامحون. نعم. إن الإنسان لا يملك إلا جسده وهو حر فيه..
- يا ويلي. ما هذا الذي أسمع ؟ ـ و يمكنك ــ إذا أردت طبعا ــ أن تقتني المخدرات، و أن تتناولها، و أن تدمر نفسك بنفسك، فأنت حر..
- (**يضحك بألم**) نعم. وماذا غير هذا ؟
- ويمكنك أن تغير جلدك و لونك و.. جنسك أيضا (**ضحكة ماكرة**) تغيره بالسهولة التي تتغير بها قميصك وطربوشك. نعم، وأن تصبح امرأة فاتنة، في لحظات، فأنت حر. و إذا أردت ألا

تكون رجلا ولا امرأة، فبإمكانك ذلك، وأنت حر. المهم هــو أن تدفع. إن لم يكن باستطاعتك أن تدفع دفعة واحدة، فيمكنك أن تختار الدفع بالتقسيط، فأنت حر، ونحن في بلادنا نعمــل بنظــام التقسيط المريح..

(يضع راحتيه على أذنيه و يصرخ منفعلا)

- لا لا.. يكفي . أريد أن أستيقظ. ردوا إلى صــحوي، وخــذوا سكركم.. هذا ليس حقيقة أبدا، وما هذا الذي أرى إلا كــابوس مزعج. نعم. أيقظوني من نومي. صبوا علي الماء المثلج. اصــفعوا وجهي بقوة، و أنقذوني من وهمي.. حرروني من هذه الأصــوات التي تحاصرني.. حرروني منها. أريد أن أعود لنفسي وذاتي.. هــذا العالم ليس عالمي، و هذا الزمن ليس زمني. أرجعوني إلى طفــولتي، وردوا إلي براءتي و عذريتي..

(فجأة، نسمع أذان الفجر)

خاتمة الاحتفال..

ـ 11 ـ

(**تتغير الإضاءة، ليستعيد المكان أجواء الساحة الشعبية. يعود الحكواتي، و نخرج من المحكي إلى المعيش)**

الله أكبر.. (**و كأنه يخرج من كابوس**) أين نحن ؟و من نحن ؟

(**يتأمل المكان حوله**) حمدا لله. أننا ما رحلنا إلا بخيالنا (**يضحك**) و هل يملك الحكواتي إلا خياله ؟

هو الفجر إذن، وقد دقت ساعة الفراق. بعد قليل ستشرق الشمس من جديد، وتدب الحياة في الدروب والأزقة والحارات، و يغيب الحكواتي القدم. أغيب أنا، ويظهر الحكواتيون الجدد..

(**تسمع صرخة طفل يولد**) عجبا. إنه يبكي، مع أنه قادم إليكم، و ماذا أفعل أنا، و أنا الراحل عنكم؟ أهو قدرنا يا أهلنا، أن نلتقي بالدمع، و أن نفترق بالدمع، و أن نفرح بالدمع، و أن نبكي بالدمع ؟

(**يسمع بكاء نسوة و صراخ، قادمين من منزل بعيد**) لا إله إلا الله، ولا يدوم إلا وجه الله. هذا الميت العاقل، عرف متى يموت. و من أجل

أن يدخل ذلك الوليد الجديد، فإنه لابد أن يخرج هذا العجوز القديم، هذه هي أصول لعبة الوجود. كلنا نعرفها، و لكننا لا نتقبلها بسهولة..

(**تسمع زفة عرس**) و هذا عرس.. هو عرس يجاور مأتما، و ما الفرق بين هذا العريس و ذاك العريس ؟ الفرح معجل، و الحزن مؤجل، و كل شئ نخافه و نكرهه مؤجل أيضا. مؤجل إلى إشعار آخر..

(**تتعالى أصوات البنائين بالصلاة والسلام على النبي**)

و هؤلاء هم البناءون. و هم يبنون بعد هدم، ولست أدري إن كانوا يعلمون أو يجهلون ما يفعلون.. لقد شرعوا في تغيير ملامح هذه الساحة، وما العمر، يا أهل الله، إلا فسحة، وما هذه الحياة إلا ساحة، و داخل هذه الساحة تنتصب ساعة، تلسعنا عقاربها المسمومة، ولكن لا نرا ..

غدا، لن تجدوا في هذا المكان دكان الكاتب العمومي، و لا حلقة الحكواتي و لا حلقة لمسيح، و لن تروا أخانا المرشد السياحي بجلبابه الأبيض و طربوشه الأحمر وبلغته الصفراء، و لن تسمعوا آهات وتأوهات المغني الشعبي..

(**يقوم بجمع أشيائه و ملابسه المبعثرة هنا و هناك. يدخلها الصندوق، ثم يغلقه بقفل، و يعلق المفتاح على صدره**)

انتهت مهمتي، وانتهائها سادتي، ينتهي عصر أو عصور. يموت تاريخ، ويولد تاريخ آخر..

(**من بعيد تأتينا أصوات وهي تنشد**)

هاذي ساعة من ساعات الله

يحضر فيها النبي رسول الله

(يجلس القرفصاء على الصندوق)

و في ختام هذه الحلقة، ماذا أقول لكم عني ؟ ما أسعدني أو ما أشقاني ؟ أنا صاحب مأساة إخوتي ، و أصدق كل المآسي هي التي تضحك و لا تبكي .. أنا في هذه الساحة ضيف.. ضيف والبيت ليس بيتي. أنا عابر سبيل. سأمضي أنا، ويبقى الطريق بعدي.. إننا نمشي، والوقت يمشي، وكل الأشياء، فينا ومن حولنا، تمشي و تمشي و تمشي..

(تضيق الإضاءة حتى تصبح في حجم بقعة، لا تضيء إلا الحكواتي) و أخيرا، أسألكم، هل حقا تعرفون من أكون ؟

أنا الضاحك الباكي. أنا الظالم الشاكي. أنا الطباخ الجوعان. أنا الخياط العريان. أنا الساقي الضمآن. أنا الملاك والشيطان. أنا السياف والبهلوان. أنا الغافي اليقظان. أنا الصاحي السكران.

ماذا ؟ لم تعرفوني ؟ لقد حاولت أن أعرف بنفسي، ولكنني فشلت.. هل تعرفون. أنا نفسي أجهل نفسي..

(تتسع بقة الضوء قليلا. يقف، و ظهره إلى الجمهور، وكأنه ذاهب إلى مكان ما).

أنا التائه الهادي. أنا الساحر العادي. أنا المتمرد الراضي. أنا الواصل المبتدى. أنا الضحية والمعتدي. أنا الزاحف الطائر. أنا الواقف العاثر. أنا الواصل المنفصل..

(تتعالى أصوات البنائين بالصلاة والسلام على النبي، و تحجب صوت الحكواتي.

تضيق بقعة الضوء شيئا فشيئا. يتعالى إنشاد المنشدين، متقاطعــا مع أصوات البنائين)

هاذي ساعة من ساعات الله

يحــــضـــر فيها النبي رسول الله

(ظـــــلام تام)

عبد الكريم برشيد ــ الخميسات ــ

السبت ــ فاتح يوليو 2000

فهرست



* درس بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي بالرباط.
* حاصل على دبلوم في الإخراج المسرحي من أكاديمية مونبولي بفرنسا.
* الدكتوراه في المسرح من جامعة المولى إسماعيل بمكناس (2003).
* مستشار سابق لوزير الثقافة.
* مندوب جهوي وإقليمي لوزارة الشؤون الثقافية.
* عضو نقابة المسرحيين المغاربة، والأمين العام لنقابة الأدباء والباحثين المغاربة.

د. عبد الكريم برشيد

إذا كان عنوان المسرحية هو «الحكواتي الأخير» فهذا يعني وجود حكواتين سابقين يرتبون في المسار الإبداعي المسرحي في طليعة البدايات التي أرخ بها برشيد بدايات الفعل السردي لديه، ودشن بها اهتمامه بأشكال الحكي في كل مسرحياته.

... الكتابة الدرامية في مسرحية «الحكواتي الأخير» محاطة بتراث شعبي مغربي أعطاها وظيفة جمالية.

... إنها آخر كلمات الحكواتي الأخير وآخر صوت يتكلم، لكنها البدايات الأولى لميلاد حكواتي آخر لزمن آخر من أجل حكي آخر».

من تقديم د. عبد الرحمن بن زيدان

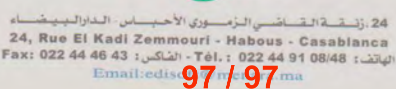
من إصدارات المؤلف

عنترة في المرايا المكسرة - سالف لونجة - الزاوية - منديل الأمان - ابن الرومي في مدن الصفيح - الناس والحجارة - عطيل والخيل والبارود - فاوست والأميرة الصلعاء - امرؤ القيس في باريس - اسمع ياعبد السميع - النمرود في هوليود - خيطانو المجنون - الدجال والقيامة - ياليل ياعين - موال مسرحي...



الثمن 22.00 درهما
ISBN 9954-406-67-0
9 789954 406670





24، زنقة القاضي الزموري الأحباس - الدار البيضاء
24, Rue El Kadi Zemmouri - Habous - Casablanca
الهاتف: 48/08 91 44 022 - Tél.: 022 44 91 08/48 - الفاكس: Fax: 022 44 46 43
Email:ediso...ma